

السردية التاريخية المضادة في حادثة عام ١٩٤٩ في رواية "تفصيل ثانوي"

لعدنية شبلي: دراسة في ضوء التاريخانية الجديدة لستيفن غرينبلات

بحث جامعي

إعداد:

ديسفيتا أيوئيندراواتي

رقم القيد: ٢٢٠٣٠١١١٠٠٥٥



قسم اللغة العربية وأدبها

كلية العلوم الإنسانية

جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج

٢٠٢٦

السردية التاريخية المضادة في حادثة عام ١٩٤٩ في رواية "تفصيل ثانوي"
لعديّة شبلّي: دراسة في ضوء التاريخانية الجديدة لستيفن غرينبلات

بحث جامعي

مقدم لاستيفاء شروط الاختبار النهائي للحصول على درجة سرجانا (S-1)

في قسم اللغة العربية وأدبها كلية العلوم الإنسانية

جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج

إعداد:

ديسفيتا أيونيندراواتي

رقم القيد: ٢٢٠٣٠١١١٠٠٥٥

المشرف:

محمد أنوار مسعدي، الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٨١١٠١٢٢٠٢٣٢١١٠١٤



قسم اللغة العربية وأدبها

كلية العلوم الإنسانية

جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج

٢٠٢٦

تقرير الباحثة

أفيدكم علما بأنني الطالبة:

الاسم : ديسفيتا أيونيندراواتي

رقم القيد : ٢٢٠٣٠١١١٠٠٥٥

موضوع البحث : السردية التاريخية المضادة في حادثة عام ١٩٤٩ في رواية "تفصيل ثانوي"

لعننية شبلي: دراسة في ضوء التاريخانية الجديدة لستيفن غرينبلات

حضرت وكتبته بنفسه وما زدت من إبداع غيري أو تأليف الآخر. وإذا ادعى أحد في المستقبل

أنه من تأليفه وتبين أنه من غير بحثي، فأنا أتحمل المسؤولية على ذلك ولن تكون المسؤولية على

المشرفين أو مسؤولي قسم اللغة العربية وأدبها كلية العلوم الإنسانية جامعة مولانا مالك إبراهيم

الإسلامية الحكومية مالانج.

تحريرا بمالانج، ١٣ مايو ٢٠٢٦ م

الباحثة



ديسفيتا أيونيندراواتي

رقم القيد: ٢٢٠٣٠١١١٠٠٥٥

تصريح

هذا تصريح بأن رسالة البكالوريوس الطالب باسم ألف صلى نبيا تحت العنوان خصائص معجم لسان العرب لابن منظور دراسة تصنيف المعاجم قد تم بالفحص والمراجعة من قبل المشرف وهي صالحة للتقديم إلى مجلس المناقشة لاستيفاء شروط الاختبار النهائي وذلك للحصول على درجة البكالوريوس في قسم اللغة العربية و أدبها كلية العلوم الإنسانية جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.

مالانج، ٢٣ يونيو ٢٠٢٦ م

الموافق

المشرف

رئيس قسم اللغة العربية وأدبها

الدكتور عبد الباسط، الماجستير

رقم التوظيف : ١٩٨٢٠٣٢٠٢٠١٥٠٣١٠٠١

محمد أنوار مسعدي، الماجستير

رقم التوظيف : ١٩٨١١٠١٢٢٠٢٣٢١١٠١٤

المعروف

كلية العلوم الإنسانية



الدكتور محمد فيصل، الماجستير

رقم التوظيف : ١٩٧٤١١٠١٢٠٠٣١٢١٠٠٣

تقرير لجنة المناقشة

لقد تمت مناقشة هذا البحث الجامعي الذي قدمته :

الاسم : ديسفيتا أيونيندراواتي

رقم القيد : ٢٢٠٣٠١١١٠٠٥٥

موضوع البحث : السردية التاريخية المضادة في حادثة عام ١٩٤٩ في رواية "تفصيل ثانوي"

لعدنية شبلي: دراسة في ضوء التاريخانية الجديدة لستيفن غرينبلات

وقررت اللجنة نجاحها واستحقاقها درجة سرجانا (S-1) في قسم اللغة العربية وأدبها لكلية العلوم الإنسانية بجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.

تحريرا بمالانج، ٢٣ يونيو ٢٠٢٦ م

لجنة المناقشة

التوقيع

()
()
()

١- رئيسة المناقشة: الدكتورة نور حسنية، الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٧٥٠٢٢٣٢٠٠٠٠٣٢٠٠١

٢- المناقشة الأولى: محمد أنور مسعدي، الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٨١١٠١٢٢٠٢٣٢١١٠١٤

٣- المناقشة الثانية: محمد أنور فردوس، الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٦٩٠٦١٦١٩٩٨٠٣١٠٠٢

المعزف

عميد كلية العلوم الإنسانية



الدكتور محمد فيصل، الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٧٤١١٠١٢٠٠٣١٢١٠٠٢



استهلال

"لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ "

(يوسف: ١١١)

إهداء

أهمية هذا البحث الجامعي إلى:

إلى أبي العزيز هيندرو بودي سانتوسا، وأمي العزيزة سيري إنداه واتي، وأخي الكبير الحكيم
أركييانندو حاريث إندراوان، الذي لم يتردد يوماً في مساعدتي عند مواجهتي للصعوبات.

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي نحمده ونستعينه ونستغفره، ونشكره على نعمه وهدايه، إذ من علي بالصحة والعافية ومنحني الفرصة لإتمام هذا البحث الجامعي تحت الموضوع "السردية التاريخية المضادة في حادثة عام ١٩٤٩ في رواية "تفصيل ثانوي" لعدنية شبلي: دراسة في ضوء التاريخانية الجديدة لستيفن غرينبلات".

تهدف كتابة هذا البحث لاستيفاء شروط الامتحان النهائي والحصول على درجة سرجانا (S-1) في قسم اللغة العربية وأدبها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج. لا يزال هذا البحث بعيدا عن حد الكمال، ولم يكن ليكتمل لولا مساهمة الأطراف الذين قدموا لي الدعم في إنجازه. ويتم التعبير عن الشكر الخاص إلى:

١. فضيلة الأستاذة الدكتورة إيلفي نور ديانا الماجستير، مديرة جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية مالانج.
٢. فضيلة الدكتور محمد فيصل الماجستير، عميد كلية العلوم الإنسانية بجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.
٣. فضيلة الدكتور عبد الباسط الماجستير، رئيس قسم اللغة العربية وأدبها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.
٤. فضيلة محمد أنوار مسعدي الماجستير، كالمشرف في كتابة هذا البحث الجامعي.
٥. فضيلة الأساتذة والأستاذات في قسم اللغة العربية وأدبها.
٦. والدي العزيزين، أبي هيندرو بودي سانتوسا وأمي سيري إنداه واتي.
٧. وأصدقائي الأحباء الذين قدّموا لي الدعم والمساندة طوال فترة إعداد هذا البحث الجامعي، وبالأخص أنا فهما كاميلا، وأمي رحمة نينغسيه، وزكية لطفية ماسنينو، ونفيسة الإثني مرضية.

تحريرا بمالانج، ۲۳ يونيو ۲۰۲۶ م
الباحثة



ديسفينا أيونيندراواتي

رقم القيد: ۲۲.۳.۱۱۱.۰۰۵۵

مستخلص البحث

أيويندراواتي، ديسفيتا (٢٠٢٦). السردية التاريخية المضادة في حادثة عام ١٩٤٩ في رواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي: دراسة في ضوء التاريخانية الجديدة لستيفن غرينبلات. البحث الجامعي، قسم اللغة العربية وأدبها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج. المشرف: محمد أنور مسعدي، الماجستير.

الكلمات الأساسية: السردية التاريخية المضادة، حادثة عام ١٩٤٩، تفصيل ثانوي، التاريخانية الجديدة

لا يُعدّ التاريخ سرديّةً أحاديّةً محايدة، بل هو نتاج بناءٍ خطابيٍّ مشحونٍ بعلاقات القوة. وتُعدّ رواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي من الأعمال التي تتناول هذه الظاهرة، إذ تُجسّد حادثة عام ١٩٤٩ في سياق الصراع العربي - الإسرائيلي. ويهدف هذا البحث إلى بحث السردية التاريخية المضادة في هذه الرواية من خلال الأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وذلك باستخدام منظور التاريخانية الجديدة لستيفن غرينبلات، بما يُتيح فهم العلاقة بين النص الأدبي والسياق التاريخي عبر قراءة موازية تجمع بين النصوص الأدبية والوثائق غير الأدبية. وينتمي هذا البحث إلى الدراسات الكيفية، مع اعتماد المنهج الجدلي. ويتمثل المصدر الرئيس للبيانات في رواية "تفصيل ثانوي"، في حين تشمل المصادر الثانوية الكتب والمقالات العلمية والوثائق التاريخية ذات الصلة بحادثة عام ١٩٤٩ وبالصراع العربي - الإسرائيلي. وقد استُخدمت تقنية القراءة والتدوين في جمع البيانات، بينما ركّز تحليل البيانات على إبراز العلاقة التبادلية بين النص الأدبي والوثائق التاريخي. وتُظهر نتائج هذا البحث أنّ: (١) تمثيل التاريخ الاجتماعي في الرواية يشمل: أ) الهجرة اليهودية الأوروبية إلى فلسطين، ب) إعلان قيام دولة إسرائيل، ج) حدث النكبة، د) العدوان العسكري وبناء المستوطنات في منطقة النقب. (٢) كما تتجلى ديناميات السلطة والمصالح السياسية من خلال: أ) سيطرة إسرائيل على المجتمع البدوي في النقب، ب) أهمية منطقة النقب بالنسبة لمشروع إسرائيل الكبرى (الذي يشمل شبه جزيرة سيناء/مصر)، ج) المصالح الإقليمية لإسرائيل في المنطقة الجنوبية. أما (٣) الأوضاع الاقتصادية فترتبط ب: أ) تطوير الزراعة الصحراوية واستغلال الموارد المعدنية، ب) بناء المدن والبنية التحتية. وتشير هذه النتائج مجتمعةً إلى أنّ الرواية لا تكتفي بتمثيل التاريخ، بل تسهم أيضاً في بناء سرديّة مضادة تكشف عن التجارب المهمّشة، وتقدّم في الوقت ذاته نقداً لهيمنة السردية الرسمية. ومن خلال هذا البحث، يتبيّن أنّ الأدب يؤدي دوراً بوصفه وسيطاً تأملياً في إعادة بناء التاريخ، في ارتباطه بممارسات السلطة والظروف المادية للمجتمع.

ABSTRACT

Ayuendrawati, Desvita (2026). Counter Historical Narrative of the 1949 Incident in the Novel "Minor Detail" by Adania Shibli: A New Historicism Study by Stephen Greenblatt. Undergraduate Thesis. Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Humanities, Maulana Malik Ibrahim State Islamic University of Malang. Advisor: M. Anwar Mas'adi, M.A.

Keywords: *Counter Historical Narrative, 1949 Incident, Minor Detail, New Historicism*

History is not a single neutral narrative; rather, it is a construction of discourse shaped by power relations. A novel that reflects this phenomenon is *Minor Detail* by Adania Shibli, which represents the 1949 incident within the context of the Arab–Israeli conflict. This research aims to examine the counter-historical narrative in the novel through social, political, and economic dimensions by employing Stephen Greenblatt's New Historicism perspective, thereby understanding the relationship between literary texts and historical contexts through a parallel reading of literary and non-literary texts. This research is qualitative in nature and applies a dialectical method. The primary data source is the novel *Minor Detail*, while the secondary data sources include books, scholarly articles, and historical documents relevant to the 1949 incident and the Arab–Israeli conflict. Data were collected using reading and note-taking techniques, and the analysis emphasizes the reciprocal relationship between literary texts and historical documents. The findings show that: (1) the representation of social history in the novel includes: (a) European Jewish migration to Palestine, (b) the declaration of the State of Israel, (c) the Nakba, and (d) military aggression and settlement construction in the Negev region. (2) The dynamics of power and political interests are reflected in: (a) Israel's control over the Bedouin in the Negev, (b) the importance of the Negev region for Greater Israel (including the Sinai/Egypt region), and (c) Israel's territorial interests in the southern region. Meanwhile, (3) the economic conditions relate to: (a) desert agricultural development and the exploitation of mineral resources, and (b) urban and infrastructure development. Overall, these findings indicate that the novel not only represents history but also constructs a counter-narrative that reveals marginalized experiences while critiquing the dominance of official history. Through this study, it is evident that literature functions as a reflective medium in reconstructing history in relation to power practices and the material conditions of society.

ABSTRAK

Ayuendrawati, Desvita (2026) Narasi Sejarah Tandingan Insiden 1949 dalam Novel “Detail Kecil” Karya Adania Shibli: Kajian New Historicism Stephen Greenblatt. Skripsi. Jurusan Bahasa dan Sastra Arab, Fakultas Humaniora, Universitas Islam Negeri Maulana Malik Ibrahim Malang. Pembimbing: M. Anwar Mas’adi, M. A.

Kata kunci: Narasi Sejarah Tandingan, Insiden 1949, Detail Kecil, New Historicism

Sejarah bukanlah narasi tunggal yang netral, melainkan hasil konstruksi wacana yang sarat dengan relasi kuasa. Novel yang mengangkat fenomena ini adalah “Detail Kecil” karya Adania Shibli, yang merepresentasikan insiden 1949 dalam konteks konflik perang Arab–Israel. Penelitian ini bertujuan untuk mengkaji narasi sejarah tandingan dalam novel tersebut melalui dimensi sosial, politik, dan ekonomi dengan menggunakan perspektif New Historicism Stephen Greenblatt, sehingga keterkaitan antara teks sastra dan konteks sejarah dapat dipahami melalui pembacaan paralel antara teks sastra dan dokumen non-sastra. Jenis penelitian ini adalah kualitatif dengan metode dialektika. Sumber data primer berupa novel “Detail Kecil”, sedangkan sumber data sekunder meliputi buku, artikel ilmiah, serta dokumen sejarah yang relevan dengan insiden 1949 dan konflik perang Arab–Israel. Teknik pengumpulan data dilakukan melalui teknik baca dan catat, sementara analisis data menekankan hubungan timbal balik antara teks sastra dan dokumen sejarah. Hasil kajian menunjukkan bahwa (1) Representasi sejarah sosial dalam novel mencakup : a) Migrasi Yahudi Eropa ke Palestina, b) Deklarasi Berdirinya Negara Israel, c) Peristiwa Nakba, serta d) Agresi Militer dan Pembangunan Pemukiman di Wilayah Negev. (2) Dinamika kekuasaan dan kepentingan politik tercermin melalui : a) Kontrol Israel atas orang-orang Badui di Negev, b) Pentingnya wilayah Negev bagi Israel Raya (Israel Raya meliputi wilayah Sinai/Mesir), c) Kepentingan teritorial Israel di wilayah Selatan. Sementara itu, (3) kondisi ekonomi berkaitan dengan : a) Pengembangan pertanian gurun, eksploitasi sumber daya mineral, serta b) Pembangunan kota dan infrastruktur. Keseluruhan temuan ini menunjukkan bahwa novel tidak hanya merepresentasikan sejarah, tetapi juga membangun narasi tandingan yang mengungkap pengalaman-pengalaman terpinggirkan sekaligus mengkritisi dominasi sejarah resmi. Melalui kajian ini, terlihat bahwa sastra berperan sebagai medium reflektif dalam merekonstruksi sejarah dalam kaitannya dengan praktik kekuasaan dan kondisi material masyarakat.

محتويات البحث

أ.....	تقرير الباحثة
ب.....	تصريح
ج	تقرير لجنة المناقشة
د	استهلال
هـ	إهداء

Error! Bookmark not defined. توطئة

ح	مستخلص البحث (العربية)
ط	مستخلص البحث (الإنجليزية)
ي	مستخلص البحث (الإندونيسية)
ك	محتويات البحث

الفصل الأول: مقدمة ١

أ. خلفية البحث.....	١
ب. أسئلة البحث.....	١١
ج. فوائد البحث.....	١١
د. حدود البحث.....	١٢
هـ. تعريف المصطلحات.....	١٣

الفصل الثاني: الأطار النظري ١٤

أ. التاريخ.....	١٤
-----------------	----

ب. التاريخانية الجديدة لستيفن جرينبلات.....	٢٠
الفصل الثالث: منهج البحث.....	٢٩
أ. نوع البحث.....	٢٩
ب. مصادر البيانات.....	٣٠
ج. طريقة جمع البيانات.....	٣٠
د. طريقة تحليل البيانات.....	٣٢
الفصل الرابع: عرض البيانات وتحليلها.....	٣٥
أ. تمثيل التاريخ الاجتماعي لحادثة عام ١٩٤٩ في الرواية "تفصيل ثانوي" لعدنية شبلي..	٣٦
١. الهجرة اليهودية الأوروبية إلى فلسطين.....	٣٦
٢. إعلان قيام دولة إسرائيل.....	٤٣
٣. ظهور أحداث النكبة.....	٥١
ب. ديناميات السلطة والمصالح السياسية المحيطة بحادثة عام ١٩٤٩ في الرواية "تفصيل ثانوي" لعدنية شبلي.....	٦٢
١. سيطرة إسرائيل على البدو في النقب.....	٦٢
٢. أهمية منطقة النقب بالنسبة لمفهوم إسرائيل الكبرى (التي تشمل شبه جزيرة سيناء في مصر).....	٦٦
٣. المصالح الإقليمية لإسرائيل في المنطقة الجنوبية.....	٧٨
ج. الأوضاع الاقتصادية المرتبطة بحادثة عام ١٩٤٩ في الرواية "تفصيل ثانوي" لعدنية شبلي.....	٨٣

٨٣	١ . المصالح الزراعيّة الصحراويّة في إسرائيل ومصالح الموارد المعدنيّة.
٨٦	٢ . تطوير المدن والبنية التحتيّة.
٩٤	الفصل الخامس: الخاتمة.
٩٤	أ. خلاصة البحث.
٩٦	ب. توصيات البحث.
٩٨	قائمة المصادر والمراجع.

الفصل الأول

مقدمة

أ. خلفية البحث

غالبًا ما لا يحضر التاريخ بوصفه صورةً مكتملةً لتسلسل الأحداث التي وقعت في الماضي، بل يأتي في شكل سردٍ جرى انتقاؤه وتنظيمه وصياغته تحت تأثير مصالح معيّنة. فكثيرًا ما يُعرض الحدث التاريخي عرضًا جزئيًا، في حين تُهمَل الجوانب الأخرى التي لا تنسجم مع الخطاب السائد أو تُبسّط. ويُظهر هذا الواقع أن كتابة التاريخ ليست بمنأى تامً عن التأثيرات الاجتماعية والسياسية التي تحيط بها. ومع ذلك، فمن الناحية المثالية يُفترض أن يكون التاريخ سجلًا شاملًا لأحداث الماضي يكشف الحقائق بموضوعية ومن غير تشويه (Karim ٢٠١٤: ٢٤٧). وعادةً ما يميل الخطاب التاريخي إلى استخدام الرمزية الإحالية، أي أسلوب عرضٍ يُحيل مباشرةً إلى الموضوعات والأفكار والأحداث والعلاقات القائمة بينها (Kuntowijoyo, ٢٠٢٦: ١٧٣). يحتلّ التاريخ مكانةً محوريةً في عملية تشكّل الدولة، كما يسهم في إضفاء الشرعية على أصولها والنظام السياسي الذي يقوم عليها، سواء في منطقة الشرق الأوسط أم في مناطق أخرى من العالم (٢٠٠٤، كامل).

غير أنّ التاريخ عندما يُقدّم في العمل الأدبي يشهد تحوّلًا في شكله وطريقة عرضه. فالأعمال الأدبية التي تتناول أحداث الماضي، والتي يُصطلح عليها عادةً بالرواية التاريخية، لا تقتصر على عرض الوقائع كما تفعل الكتابة التاريخية الرسمية، بل تعيد تشكيلها من خلال لغةٍ تخيلية (Murtini et al., ٢٠١٩: ٢٠٤). وتغدو الرواية التاريخية وسيلةً يعبر من خلالها الكاتب عن أفكاره ومشاعره ومواقفه إزاء حدثٍ تاريخي معيّن. ومن خلال طاقته الإبداعية وزاوية نظره الخاصة، يسعى الكاتب إلى ترجمة الحدث التاريخي في قالبٍ سردي يتيح للقارئ أن يفهم التاريخ لا بوصفه سلسلةً من الوقائع فحسب، بل بوصفه تجربةً إنسانية حيّة ومعقدة

(Kuntowijoyo, ١٩٨٧). وكما أنّ النصّ التاريخي يروي أحداث الماضي ويفسّرها عبر اللغة والحبكة ووجهة النظر، فإنّ النصّ الأدبي يقوم بالأمر نفسه. فكلاهما ليس محايداً تماماً، إذ يتأثّر باختيارات اللغة، وزاوية الرؤية، والأيدولوجيا التي ينطلق منها الكاتب (٢٠١٩ Taufiqurrohman). وفي هذا السياق يظهر ما يُعرف بالتاريخ المضادّ، وذلك حين يقدّم النصّ الأدبي منظوراً آخر لحدثٍ عُددَ مستقراً في إطار التاريخ الرسمي، ويفتح المجال للنقاش وإعادة تأويل الوقائع التاريخية، بحيث لا يُنظر إلى التاريخ بوصفه حقيقةً واحدةً مطلقة، بل باعتباره بناءً يمكن إعادة دراسته وتحليله من زوايا نظرٍ متعدّدة.

تناولت كثير من الأعمال الأدبية العربية المعاصرة موضوعات الصراع والاضطراب الاجتماعي بوصفها استجابةً للواقع التاريخي الذي يحيط بها. وتُعدّ منطقة الشرق الأوسط منذ زمنٍ طويلٍ فضاءً جيوسياسياً اتّسم بالصراعات الممتدّة والتعقيدات السياسية المتشابكة. ومن أبرز هذه الصراعات وأكثرها تعقيداً وتأثيراً واسع النطاق الصراع العربيّ الإسرائيليّ، وهو حالةٌ من التوتر السياسي والعداء العلني بين العرب واليهود في تلك المنطقة (Fraser, ٢٠٠٤). ويرجع هذا الصراع إلى التنازع على الأرض نفسها من قِبَل جماعتين قوميتين، الأمر الذي جعله واحداً من أكثر القضايا إشكالاً ومأساويةً في التاريخ الحديث.

على الرغم من أنّ هذا الصراع لا يقتصر على كونه صراعاً عسكرياً فحسب، بل يُعدّ صراعاً شاملاً ومتعدّد الأبعاد، تتداخل فيه الادّعاءات التاريخية، والحساسيات الدينية، والخلافات السياسية، والاختلافات الثقافية، والتوترات الاجتماعية، والمقاطعات الاقتصادية، والتحالفات الدولية في إطار من الإكراه العلني، فإنّ العنف المسلّح ظلّ يؤدّي دوراً محورياً في مسار هذا الصراع (٢٠٢٥، السلام). كانت منطقة الشرق الأوسط واقعةً في خضمّ الحرب العربية-الإسرائيلية الأولى التي اندلعت في أرض فلسطين، حيث واجهت من جهةٍ كلّ من المملكة الهاشمية الأردنية، والمملكة المصرية، والمملكة العراقية، والمملكة العربية السعودية، وسورية، ولبنان، ومن جهةٍ أخرى الميليشيات الصهيونية المدعومة بمطوعين يهود (٢٠٢٣، رمضان). استمرت حرب

فلسطين مدةً تقلّ عن عشرين شهرًا، إذ بدأت منذ صدور قرار منظمة الأمم المتحدة الذي أوصى بتقسيم فلسطين في نوفمبر عام ١٩٤٧، وانتهت بتوقيع اتفاقية الهدنة الأخيرة بين إسرائيل وسوريا في يوليو عام ١٩٤٩. وقد أدّت هذه الفترة الزمنية القصيرة نسبيًا إلى إحداث تحولات كبيرة في الخريطة السياسية لمنطقة الشرق الأوسط. بل إن عام ١٩٤٩ يُعدّ في كثير من الدراسات لحظةً مفصلية في تاريخ المنطقة بأسرها. فقد نتجت عن حرب فلسطين مجموعة من التحوّلات المهمة، من بينها اندلاع الصراع العربي - الإسرائيلي، وبروز توترات الحرب الباردة في الشرق الأوسط، وبداية تشكّل الكفاح المسلح الفلسطيني، إضافة إلى تعقيدات السياسة المرتبطة بعمليات السلام. ومن ناحية أخرى، واجه القادة الوطنيون في العالم العربي، الذين كانوا يشرفون على مرحلة الانتقال نحو الاستقلال، تحديات كبيرة عندما عجزوا عن الوفاء بوعودهم السياسية المعلنة بإنقاذ فلسطين من التهديد الصهيوني. وقد أدّى هذا الإخفاق إلى نشوء أزمة شرعية سياسية في معظم الدول العربية تقريبًا (٢٠٠٤، كامل).

استندت الحركة اليهودية إلى الفكر الصهيوني، وهو أيديولوجيا تؤكّد على التضامن العرقي والديني أساسًا للوحدة، لا مجرد الارتباط بالإقليم أو الوطن (Derajat et al., ٢٠٢٢). وقد أدّت ظروف العيش في الشتات، بما اتّسمت به من هجرة واقتلاع، إلى نشوء حالة من القلق والخشية من اتّساع الفجوة بين الطموحات الأيديولوجية والواقع المعاش. وأسهمت هذه الأوضاع في تصاعد المواجهة مع الشعب الفلسطيني والمجتمع العربي عمومًا (Rosdiana, ٢٠٢٣). وفي ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ أعلن ديفيد بن غوريون رسميًا قيام دولة إسرائيل بوصفها دولةً مستقلة. وأعقب هذا الإعلان الحدث المأساوي الذي عُرف باسم النكبة، والذي شكّل نقطة تحوّل وأزمة عميقة في تاريخ المجتمع الفلسطيني (Lila & Sa'di, ٢٠٠٧). وبعد هذا الإعلان تصاعدت حدّة الصراع وأعمال العنف، مما أدّى إلى تهجير أكثر من ٧٥٠,٠٠٠ فلسطيني من أرضهم ووطنهم الأصلي.

أصبحت الأراضي الفلسطينية لاحقاً مقصداً لموجاتٍ من المهاجرين اليهود المنظمين ضمن الحركة الصهيونية، الأمر الذي أدّى إلى تضيق الخناق على السكان الأصليين وحرمانهم من المجال الحيوي ومن حقّهم في الأرض. واضطرّ معظم الفلسطينيين إلى اللجوء إلى مناطق مثل القدس الشرقية، والضفة الغربية، وقطاع غزة، في حين توزّع آخرون على عددٍ من الدول العربية المجاورة لبدء حياةٍ جديدة في ظروفٍ بالغة الصعوبة ومحدودة الإمكانيات. وقد أثارت هذه التطوّرات اعتراضاً شديداً من الدول العربية المحيطة التي رأت في ذلك شكلاً من أشكال اغتصاب الأرض. وفي اليوم التالي لإعلان قيام دولة إسرائيل اندلعت الحرب الأولى بينها وبين الدول العربية، والتي عُرفت لاحقاً باسم حرب ١٩٤٨ العربية - الإسرائيلية (٢٤٤-٢٣٨: Siau et al., ٢٠٢٤). وبعد أحداث النكبة وما رافقها من موجات تهجير، أفادت تقارير بأنّ القوات الإسرائيلية ألقت القبض على فتاةٍ بدويةٍ تخلّفت عن قبيلتها عقب نجاحها من كمينٍ في صحراء النقب. ولم تقتصر الحادثة على احتجازها، بل تعرّضت لاعتداءٍ جنسي، ثم أُطلقت عليها النار حتى قُتلت، ودُفن جسدها في وسط الصحراء على يد القوات الإسرائيلية في ١٣ أغسطس ١٩٤٩ (Shibli, ٢٠٢٢). كانت الدول العربية في تلك الفترة في موقف شديد الضعف. فعلى الرغم من اتحاد جيوشها وخوضها الحرب بصورة مشتركة، فإنها مُنيت بهزيمة مُهينة أمام قوة لم يكن عدد سكانها يعادل حتى عدد سكان إحدى عواصمها الكبرى. وقد أفضت تلك الهزيمة إلى معاناة كبيرة، كان من أبرز مظاهرها تهجير أعداد كبيرة من السكان واقتلاعهم من أراضيهم (٢٠٢٣، محمد عزت). وتعدّ الحرب إحدى السمات الملازمة في تاريخ دولة إسرائيل، إذ لم تنفصل مسيرتها السياسية والعسكرية عن حالة الصراع المستمر (٢٠٢٠: Aziz).

تمثّل رواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي حادثة عام ١٩٤٩ في سياق الحرب العربية - الإسرائيلية، كما تقدّم تأملاً نقدياً في السردية التاريخية الرسمية المتداولة، مسلّطة الضوء على التجربة الفردية والبعد الإنساني اللذين كثيراً ما يُهمّشان في إطار الكتابة التاريخية المهيمنة. ولا

يُعرض العنف في هذه الرواية بوصفه مجرد توثيق تاريخي، بل يُصاغ من خلال منظورٍ حميميٍّ تأمليٍّ، بما يشيّد أجواءً من الصمت والتوتر والإحساس العميق بالاغتراب. وعلى الرغم من أنّ البعد السياسي يشكّل خلفيةً للأحداث، فإنّه يتجلّى عبر تفاصيل دقيقة وتجارب شخصية وشذراتٍ سردية تنطوي ضمناً على نقدٍ لبنية السلطة وعلاقات الهيمنة التي سادت في تلك المرحلة.

انطلاقاً من العرض السابق، تعتمد هذا البحث مقارنةً التاريخانية الجديدة (New Historicism) أساساً نظرياً رئيساً لها. وتنطلق هذه المقاربة من مسلّمة مفادها أنّ العمل الأدبي لا يمكن فصله عن السياقات التاريخية والاجتماعية والسياسية التي تحيط به. كما تُشكّك التاريخانية الجديدة (New Historicism) في افتراض موضوعية التاريخ ووحدانيته، مؤكّدة أنّ كلّاً من النص الأدبي والنص التاريخي يُعدّ بناءً خطائياً يتشكّل ضمن علاقات السلطة وأطرٍ أيديولوجية معيّنة (Greenblatt, ١٩٨٠). وفي سياق هذا البحث، تُوظّف هذه المقاربة لتحليل الكيفية التي تبني بها رواية "تفصيل ثانوي" لعذرية شبلي تمثيلَ حادثة عام ١٩٤٩ بوصفها صيغةً من صيغ التاريخ المضاد في مواجهة السردية الرسمية المهيمنة.

تستند هذا البحث إلى المفاهيم الرئيسة التي طرحها ستيفن غرينبلات، ولا سيّما فكرته حول العلاقة التبادلية بين النص والسياق التاريخي ضمن ما يُعرف بمفهوم (cultural poetics) (Greenblatt, ١٩٨٠). ومن خلال قراءةٍ موازيةٍ تجمع بين النص الأدبي والوثائق التاريخية، يسعى هذا البحث إلى الكشف عن الكيفية التي لا يكتفي فيها السرد الروائي بعكس أحداث الماضي، بل يعمل أيضاً على التفاوض بشأن البنى التاريخية الراسخة ونقدها. كما يحيل هذا البحث إلى أطروحات لويس مونتروز بشأن مفهومي "The textuality of" (Montrose, ١٩٨٩)، اللذين يؤكّدان أنّ التاريخ يتّسم ببنيةٍ سرديةٍ على غرار الأدب، في حين أنّ النص الأدبي ذاته يشارك في عملية إنتاج المعنى التاريخي وتشكيله.

تُظهرُ البحوثُ السابقةُ أنَّ منهجَ التاريخانية الجديدة (New Historicism) قد استُخدمَ على نطاقٍ واسعٍ لدراسةِ العلاقةِ بين النصوص الأدبية والسياقات التاريخية التي أحاطت بها. ومن ذلك البحث الذي أجراه (Rezk, ٢٠٢٥) بعنوان "Inter-generational Trauma and "History in The Vanishing Half by Brit Bennett and Minor Detail by Adania Shibli حيث تناول تمثيلَ التاريخ والصدمة، وأظهر أنَّ الهويةَ والعرقَ والصدمةَ العابرةَ للأجيال تتشكَّل بفعل الأحداث التاريخية والسياقات الاجتماعية والسياسية المختلفة. وقد دُعِّمت هذه النتائجُ الباحثةُ (Amir, ٢٠٢٥) في بحثها المعنون "Palestinian Modernism: Meaning Making and "Alternative Historical Practices in Adania Shibli's Minor Detail". استخدمت الباحثة المنهجَ الكيفيَّ (Qualitative Research) مع مدخل القراءة الدقيقة (Close Reading)، وأظهرت نتائج البحث أنَّ رواية تفصيل ثانوي تبني ممارساتٍ تاريخيةً بديلةً (Alternative Historical Practices) من خلال التفاصيل الصغيرة، وشذرات الذاكرة، والتجارب الفردية، بما يُسهِم في نقدِ التاريخ الاستعماري الإسرائيلي والتشكيك في موضوعية السردية التاريخية الرسمية.

كما تناولت الباحثة (Nashef, ٢٠٢٢) في بحثها المعنون "Suppressed Narrator, "Silenced Victim in Adania Shibli's Minor Detail" رواية تفصيل ثانوي باستخدام المنهج الكيفي مع مدخل النقد الأدبي المعاصر. وأظهرت نتائج البحث أنَّ الكاتبة عدنية شبلي صوّرت المرأة البدوية بوصفها ضحيةً أُقصيت من التاريخ الرسمي الفلسطيني - الإسرائيلي، وذلك من خلال استراتيجية إسكات الراوي وإخفاء هوية الضحية، بما يكشف عن كيفية تشكيل السلطة للذاكرة الجماعية وتهميش أصوات الفئات المستضعفة. ويتشابه هذا البحث مع البحث الحالي في اتخاذ رواية "تفصيل ثانوي" موضوعاً للدراسة، بوصفها وسيطاً أدبياً يعرض التاريخ البديل والذاكرة الجماعية، إلا أن الباحثة ركّزت على تمثيل الصدمة والإقصاء، ولم تستخدم منظور التاريخانية الجديدة (New Historicism) لستيفن غرينبلات في تحليل السردية التاريخية المضادة كما هو محور البحث الحالي. وفي بحوث أخرى، استُخدم منهج

التاريخانية الجديدة (Historicism New) للكشف عن تمثيل الأيديولوجيا والدعاية السياسية في النصوص الأدبية. ومن ذلك البحث الذي أجراه الباحث (Taufiqurrohman, ٢٠١٩) بعنوان "Challenging the New Order's Communist Figures: A New Historicism Study on "Penjagal Itu Telah Mati". استخدم الباحث المنهج الوصفي الكيفي مع مدخل التاريخانية الجديدة، وهدف إلى تحليل تمثيل الشخصيات الشيوعية في مرحلة ما بعد النظام الجديد. وأظهرت نتائج البحث أنَّ الصورة التاريخية للشخصيات الشيوعية لم تعد تُقدَّم وفق الرواية الرسمية التي رسَّخها النظام الجديد، بل أُعيد تشكيلها ومقاومة تمثيلها من خلال النص الأدبي، مما يؤكد قدرة الأدب على مساءلة السرديات التاريخية السائدة وإعادة قراءتها.

كما تناول الباحثون (Alkhaerat & Garim, ٢٠٢٤) في بحثهم المعنون "New Historicism Greenblatt dalam Novel Kartini Karya Abidah El Khalieqy dan Novel Buya Hamka Karya Ahmad Fuadi dan Relevansinya terhadap Pembelajaran Materi Apresiasi Novel di SMA"، الأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الروايات التي تتناول الشخصيات الوطنية، مع التأكيد على أهمية العلاقة بين الأدب والتاريخ في تعليم تقدير الرواية. ومن ناحيةٍ أخرى، تناولت الباحثة تسابيتا والباحث (Tsabita & Hakim, ٢٠٢٥) في بحثهما المعنون "A Portrait of Palestinians in Mahmoud Darwish's Poem Qasidatu al-Ardi: New Historicism Analysis" صورة الشعب الفلسطيني في قصيدة محمود درويش قصيدة الأرض بوصفها انعكاسًا للمعاناة والمقاومة التاريخية. وأظهرت نتائج هذين البحثين أنَّ النصوص الأدبية يمكن أن تؤدي دورًا بوصفها وسيطًا نقديًا للكشف عن السرديات التاريخية الرسمية، كما تُسهم في تشكيل فضاءٍ للتفاوض حول خطابات السلطة وإعادة مساءلتها.

كما أجرت الباحثة (٢٠٢٥, أوكثافاني) بحثًا بعنوان "الديناميكيات السياسية للعراق في عهد صدام حسين في رواية حدائق الرئيس لمحسن الرملي من منظور التاريخانية الجديدة لستيفن غرينبلات"، وهدفت الباحثة إلى تحليل تمثيل الديناميكيات السياسية في العراق خلال فترة حكم صدام حسين، وما ترتب عليها من آثار في الحياة الاجتماعية للمجتمع العراقي،

من خلال توظيف منهج التاريخانية الجديدة (New Historicism) الذي يربط بين النص الأدبي والسياقين التاريخي والسياسي اللذين نشأ فيهما النص. كما تناولت الباحثة (Elbaz, ٢٠٢٣) في بحثها المعنون "Documenting the Unarchivable: Minor Detail and the Archive of Senses" رواية تفصيل ثانوي باستخدام المنهج الكيفي مع التحليل النصي. وأظهرت نتائج البحث أنَّ عدنية شبلي شيدت أرشيفاً بديلاً من خلال الخبرات الحسية، مثل الروائح والأصوات والفضاءات والآثار والأشياء الصغيرة التي لم تُسجَل في الأرشيف التاريخي الرسمي، مؤكدةً أنَّ التاريخ لا يُحفظ في الوثائق الرسمية فحسب، بل يمكن أيضاً أن يُستعاد عبر التجارب الإنسانية اليومية والذاكرة الحسية.

وعلاوةً على ذلك، تناول الباحث (Surur, M., & Oktaviani, ٢٠٢٥) في بحثهما المعنون "Depiction of Naturalism in the Novel Tafṣīl Thānawī by Adania Shibli" رواية تفصيل ثانوي باستخدام المنهج الوصفي الكيفي ونظرية الطبيعية لإميل زولا. وأظهرت نتائج البحث أنَّ الرواية تمثل مظاهر الحتمية البيئية، وموضوعية المؤلف، والنزعة التشاؤمية، وتأثير الظروف الاجتماعية في تكوين الشخصيات، فضلاً عن البنية السردية المأساوية بوصفها السمات الرئيسة للمذهب الطبيعي. كما أجرى الباحث (Sabarian, ٢٠٢٦) بحثاً في صورة رسالة ماجستير بعنوان "هيمنة وسياسات المقاومة في رواية تفصيل ثانوي لعدنية شبلي: تحليل النيكروسياسة عند أشيل ميمبي"، واستخدم الباحث المنهج الكيفي مع تقنية القراءة الدقيقة. وأظهرت نتائج البحث أنَّ الرواية تمثل ممارسات النيكروسياسة من خلال الهيمنة الاستعمارية الإسرائيلية، إلى جانب تصوير أشكالٍ متعددةٍ من مقاومة المجتمع الفلسطيني. وعلى خلاف هذه البحوث التي ركزت على الأرشيف، والذاكرة، والطبيعية، والنيكروسياسة، فإنَّ البحث الحالي يستخدم نظرية التاريخانية الجديدة (New Historicism) لاستيفن غرينبلات للكشف عن السردية التاريخية المضادة لحادثة عام ١٩٤٩ التي شيدتها رواية "تفصيل ثانوي" لعدنية شبلي.

استنادًا إلى استعراض الأبحاث السابقة المشار إليها، يتبين أنّ رواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي قد درست من زوايا متعددة، من قبيل الصدمة العابرة للأجيال، وأرشفة التاريخ الاستعماري، وتحليل التاريخانية الجديدة (New Historicism) في سياق تمثيل الهوية والمقاومة. غير أنّ الباحثة لم تعثر على دراسة تُفرد عنايةً خاصةً لبناء التاريخ المضاد لحادثة عام ١٩٤٩ في هذه الرواية من خلال قراءة جدلية تجمع بين النص الأدبي والتاريخ الرسمي. إذ إنّ معظم الأبحاث السابقة ركّزت على قضايا الذاكرة أو الاستعمار أو الهوية، من غير أن تتناول بصورة صريحة الكيفية التي تُشيد بها هذه الرواية سرديةً بديلةً إزاء التاريخ الرسمي لأحداث عام ١٩٤٩.

يُعدّ يتبع الأبحاث المماثلة أمرًا ضروريًا لتفادي تكرار الموضوعات البحثية، ولتأكيد أصالة هذه البحث وتميّزها. ومن خلال استكشاف مفهوم التاريخ المضاد في العمل الأدبي، يُؤمل أن يُسهم نتائج هذا البحث في إثراء الفهم المتعلق بدور الأدب بوصفه وسيطًا نقديًا إزاء الخطاب التاريخي المهيمن. كما يُرتجى أن يُعزز هذا البحث الوعي الأكاديمي بأنّ التاريخ ليس كيانًا أحاديًا ونهائيًا، بل هو مجال مفتوح دومًا لإعادة التأويل عبر السرديات البديلة التي تُقدّمها الأعمال الأدبية.

إنّ اختيار رواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي في هذا البحث يستند إلى مدى صلتها بقضايا التاريخ والصراع التي تُشكّل محور البحث. وقد صدرت الرواية أول مرة باللغة العربية عن دار الآداب للنشر والتوزيع عام ٢٠١٧، وتقع في ٢٤٨ صفحة. وبوصفها عملاً من أعمال الأدب العربي المعاصر، فإنها تمثل الأحداث التاريخية عبر مقاربة سردية مكثّفة وتأملية، مما يجعلها جديرةً بأن تكون موضوعاً للبحث. كما يقوم اختيارها على اعتبار أنّها تقدّم تمثيلاً إشكاليًا للتاريخ، وتفتح المجال لقراءة التاريخ المضاد من منظور التاريخانية الجديدة (New Historicism). فالرواية لا تكتفي بتسجيل حادثة عام ١٩٤٩، بل تعيد بناءها من خلال استراتيجيات سردية تجعل تجربة الضحية، ولا سيما الفتاة البدوية، محوراً للحكي. وتُصوّر هذه

الفتاة، التي وقعت ضحيةً لعنف جنود إسرائيليين، لا بوصفها فردًا فحسب، بل رمزًا لجسدٍ خاضعٍ للهيمنة، ومُسكَّتٍ عنه، ومُقصًى من الأرشيف التاريخي الرسمي. ويكشف السرد عن كيفية اشتغال علاقات السلطة عبر التحكم في الجسد والحيز والذاكرة، حيث تشير وقائع الاعتقال والعنف الجنسي ثم القتل إلى ممارسات نزع الإنسانية المرتبطة بالسياق السياسي لما بعد عام ١٩٤٨. ومن خلال أسلوبٍ سرديٍّ يتسم بالتشظّي والتكرار، تتحدّى الرواية القارئ لإعادة النظر في أحداث عام ١٩٤٩ من منظورٍ مغاير، أي من زاويةٍ طالما همّشتها الخطابات التاريخية المهيمنة.

فضلاً عن ذلك، يسعى هذا البحث إلى تحليل الكيفية التي تُبنى بها بُنى السلطة والمصالح السياسية داخل النص بوصفها شكلاً من أشكال النقد لشرعية التاريخ الرسمي. فالعنف الذي تتعرّض له الشخصية النسائية لا يُفهم باعتباره فعلاً فردياً معزولاً، بل بوصفه جزءاً من آليات سلطةٍ استعماريةٍ أوسع نطاقاً. وبذلك يحاول هذا البحث أن تُبين أنّ رواية "تفصيل ثانوي" تقدّم تاريخاً مضاداً من خلال تمثيل تجربة الضحية، وفي الوقت ذاته تُفكّك الافتراض القائل بأنّ التاريخ سرديّةٌ واحدةٌ محايدةٌ ونهائيةٌ.

يهدف هذا البحث إلى تقديم وصفٍ معمّقٍ لبناء التاريخ المضاد في رواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي، ولا سيما في تمثيلها لحادثة عام ١٩٤٩ ضمن إطار الشروط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أحاطت بها. كما تسعى إلى الكشف عن الكيفية التي أُعيد بها تشكيل ذلك الحدث التاريخي عبر استراتيجيات السرد، وزاوية الرؤية، وتوظيف "تفصيل ثانوي" المشبعة بالدلالات الأيديولوجية. وإلى جانب ذلك، يروم البحث التعرّف إلى كيفية تمثيل علاقات السلطة، وممارسات العنف، ومحو الذاكرة الجماعية في سياق البنية الاجتماعية للمجتمع، واختلالاته الاقتصادية، وهيمنة السلطة السياسية في المرحلة ما بعد الاستعمار. وينصبّ التركيز على إبراز تجربة الضحية التي طالما همّشتها التاريخ الرسمي، بوصفها مركزاً للسرد، بما يفتح المجال لقراءةٍ بديلةٍ لتاريخ الحرب العربية - الإسرائيلية. ومن خلال

توظيف مقارنة التاريخانية الجديدة (New Historicism)، يُؤمل أن تُظهر هذا البحث الترابط الوثيق بين النص الأدبي والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أسهمت في تشكيل الحدث التاريخي، وفي الوقت نفسه تشكّلت به وتأثّرت به.

ب. أسئلة البحث

استنادًا إلى الخلفية النظرية التي عُرضت سابقًا، تركّز هذا البحث على الكيفية التي تمثّل بها رواية "تفصيل ثانوي" لعنيدة شبلي أحداث عام ١٩٤٩ التاريخية، وكيف تُشيد سرديةً بديلةً إزاء التاريخ الرسمي من خلال البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أحاطت بتلك الأحداث. أمّا إشكالية البحث في هذا البحث فتتمثّل في الأسئلة الآتية:

١. كيف تتجلّى تمثّلات التاريخ الاجتماعي لحادثة عام ١٩٤٩ في الرواية "تفصيل

ثانوي" لعنيدة شبلي؟

٢. كيف تتجلّى ديناميات السلطة والمصالح السياسية التي تحيط بحادثة عام ١٩٤٩

في رواية "تفصيل ثانوي" لعنيدة شبلي؟

٣. كيف تمثّل الأوضاع والعلاقات الاقتصادية المرتبطة بحادثة عام ١٩٤٩ في رواية

"تفصيل ثانوي" لعنيدة شبلي؟

ج. فوائد البحث

أمّا الفوائد المرجوة من هذا البحث فتشمل جانبين رئيسيين، هما الفائدةُ النظريةُ والفائدةُ التطبيقيةُ. وقد صيغ هذان الجانبان في ضوء إسهام البحث في تطوير الحقول المعرفية ذات الصلة، وكذلك في بيان أهميتها لتعميق فهم القارئ للواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي كما يُمثّل في العمل الأدبي.

١. الفائدة النظرية

يُتَوَقَّعُ أن تُسهم هذا البحث في إثراء رصيد دراسات التاريخانية الجديدة (New Historicism)، ولا سيّما أفكار (Stephen Greenblatt) حول العلاقة التبادلية بين النصّ والسياق التاريخي. ومن خلال تحليل رواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي يُرجى أن تُوسّع هذا البحث نطاق تطبيق نظرية التاريخانية الجديدة في حقول الدراسات الأدبية العربية المعاصرة، ولا سيّما في قراءة بناء تاريخ مضادّ لحادثة عام ١٩٤٩. وإلى جانب ذلك، يُؤمل أن تكون هذا البحث مرجعاً أكاديمياً للبحوث اللاحقة التي تتناول أوجه الترابط بين الأدب والتاريخ، فضلاً عن ديناميات الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي كما تتجلى في الأعمال الأدبية.

٢. الفائدة التطبيقية

يُؤمل أن تُسهم هذا البحث في تعزيز فهم القارئ للديناميات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في فلسطين ما بعد عام ١٩٤٨ كما تمثّلت في الرواية "تفصيل ثانوي". ومن خلال توظيف مقاربة التاريخانية الجديدة (New Historicism)، تُسهم هذا البحث في توسيع الأفق المعرفي حول كيفية إعادة تقديم الحدث التاريخي، ولا سيّما حادثة عام ١٩٤٩، عبر السرد الأدبي بوصفه شكلاً من أشكال النقد للتأريخ المهيمن. وعلاوةً على ذلك، يُرتجى أن تدفع هذا البحث القارئ إلى مزيد من الوعي بالتطورات الاجتماعية والسياسية المعاصرة، وإلى إدراك أهمية قراءة التاريخ قراءةً نقديةً تتجاوز طابعه الرسمي الأحادي.

د. حدود البحث

يقتصر هذا البحث على دراسة تمثيل السردية التاريخية المضادة (history counter) في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي، وذلك باستخدام مقاربة التاريخانية الجديدة (New

(Historicism)، مع التركيز على حادثة عام ١٩٤٩ في صحراء النقب بوصفها الإطار التاريخي الرئيس. وتتجه عملية التحليل إلى بيان كيفية تمثيل النص الأدبي لهذه الحادثة من خلال ثلاثة أبعاد، هي: البعد الاجتماعي، والبعد السياسي، والبعد الاقتصادي، فضلاً عن توضيح كيفية اشتغال السردية بوصفها بديلاً عن الكتابة التاريخية المهيمنة. ولا يتناول هذا البحث العناصر الداخلية للنص الأدبي بصورة معمّقة، كما لا يسعى إلى التحقق التجريبي من الوقائع التاريخية، بل يركّز على العلاقة بين النص والسياق التاريخي من خلال قراءة موازية. إضافةً إلى ذلك، لا يعتمد هذا البحث على مقاربات نظرية أخرى خارج إطار التاريخانية الجديدة، مما يجعل بعض الجوانب، مثل النوع الاجتماعي (الجندر)، والصدمة، والأيدولوجيا، تُطرح بصورة ضمنية، ويمكن أن تُشكّل مجالاً مفتوحاً لأبحاث لاحقة.

هـ. تعريف المصطلحات

يشمل تعريف المصطلحات في هذا البحث عدداً من المفاهيم الأساسية التي تُشكّل منطلق التحليل. أولاً، يُفهم السرد بوصفه طريقة عرض الأحداث أو نقلها في النص الأدبي، بما يُسهّم في تشكيل الحبكة وزاوية الرؤية وإنتاج الدلالة المرتبطة بالحدث. ثانياً، يشير مفهوم السردية التاريخية المضادة (counter-history) إلى محاولة إعادة تقديم التاريخ من منظور مُهمّش أو غير مهيمن، ولا سيما تجارب المجتمع الفلسطيني التي غالباً ما تُقصى من الكتابة التاريخية السائدة. ثالثاً، تُعدّ التاريخانية الجديدة (New Historicism) مقارنة نقدية أدبية تنظر إلى النص بوصفه جزءاً من شبكة اجتماعية وسياسية وثقافية في زمنه، ومن ثمّ لا يمكن فصل العمل الأدبي عن سياقه التاريخي الذي نشأ فيه. رابعاً، يُقصد بحادثة عام ١٩٤٩ الواقعة المرتبطة بأحداث العنف التي شهدتها صحراء النقب في مرحلة ما بعد الحرب العربية - الإسرائيلية عام ١٩٤٨، والتي تُشكّل محوراً أساسياً في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي. وأخيراً، تُستخدم الأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بوصفها إطاراً تحليلياً لتصنيف المعطيات، حيث يرتبط البعد الاجتماعي بتجارب الإنسان وعلاقاته، ويتصل البعد السياسي بممارسات السلطة

والسيطرة على المجال، في حين يعكس البعد الاقتصادي قضايا استغلال الموارد، والتحكم في الفضاء، وعمليات التنمية المكانية.

الفصل الثاني

الإطار النظري

أ. التاريخ

يُعدُّ التاريخ سلسلةً من تجارب الإنسان في الماضي، تستمرّ وتتطوّر مع مسيرة الحياة البشريّة (Madjid, ٢٠١٤). وهو نسقٌ متواصل من الأحداث التي تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل. ويرى (Edward, ١٩٨٢: ٣٠) أنّ "History is a continuous process of interaction between the historian and his facts, and an unending dialogue between the present and the past". ويمكن فهم هذا الامتداد من خلال البعدين الزمني الكرونولوجي والمكاني الجغرافي، عبر دراسة الإطار الزمني وموقع وقوع الحدث التاريخي. كما تكشف كلّ مرحلة تاريخيّة عن تطوّر في المعرفة يتميّز بخصائص وسمات مخصوصة (Karim, ٢٠١٤).

من الناحية اللغوية يُفهم التاريخ بوصفه فعلاً يهدف إلى بيان الزمن وتحديد تاريخ وقوع الحدث. ويتوافق هذا المعنى مع ما ذكره (الصلابي, ١٩٩٨). نقلاً عن الجوهري، إذ يرى أنّ التاريخ يرتبط بتعيين الوقت أو تفسيره، ومن ثمّ فإن مصطلح التاريخ في جوهره يحمل المعنى نفسه الذي يحمله التأريخ أو تحديد التواريخ. كما أشار السخاوي في كتابه الإعلان بالتوبيخ إلى هذا المعنى حين قال: "أَرَّحْتُ له"، وهو تعبير يدل على عملية تعيين الزمن الذي وقع فيه الحدث. يؤكّد قول الأصمعي أنّ لفظ "التاريخ" لفظٌ عربيٌّ أصيل، وليس معرّباً من الفارسية كما يزعم بعضهم. وقد قيل أيضاً إنّ أصل كلمة "التاريخ" يعود إلى اللغة السريانية، حيث يُراد بها معنى "الشهر" (٢٠٠٤، كامل). اصطلاحياً يُفهم التاريخ على أنّه تحديد الزمن. ويرتبط ذلك بتتبّع أحوال الشخصيات منذ المراحل الأولى من حياتهم، وتطوّر أوضاعهم عبر الزمن، وصولاً إلى ما تؤول إليه أحوالهم لاحقاً. وإلى جانب ذلك، يشمل التاريخ أيضاً مختلف الأحداث والوقائع المهمّة التي تقع في حياة المجتمعات، مثل ظهور الكوارث، وفرض بعض

الواجبات أو التشريعات الجديدة، وتعيين الخلفاء والوزراء، ووقوع المعارك والحروب الكبرى، وفتح البلدان واستردادها من مغتصبيها، فضلاً عن انتقال السلطة أو تغيير نظم الحكم في الدول (١٩٩٨، الصلابي).

وفي اللغة الإندونيسية، تعود كلمة "التاريخ" إلى أصل ملايويّ مقتبسٍ من اللفظ العربي "شجرة"، الذي يدلّ على معاني الشجرة والنَّسب والأصل والسَّلسلة والرواية. وقد دخل هذا المصطلح إلى المعجم الملايوي في سياق التفاعل الثقافي منذ القرن الثالث عشر. ثمّ جاءت موجة تأثيرٍ أخرى في القرن الخامس عشر مع حضور الثقافة الغربيّة، حيث ظهرت مصطلحات (historie) بالهولنديّة و (history) بالإنجليزيّة، المشتقة من اللفظ اليوناني (istoria) بمعنى المعرفة. وقد استعمل أرسطو مصطلح (istoria) للدلالة على الدراسة المنظّمة للظواهر الطبيعيّة، في حين شاع في اللاتينيّة استعمال لفظ (scientia) للدلالة على الدراسة العلميّة غير القائمة على التسلسل الزمني. أمّا (istoria) فكان يُستعمل غالباً للإشارة إلى بحث الوقائع الإنسانيّة وفق ترتيبٍ زمني (Madjid, ٢٠١٤).

إنّ التاريخ في جوهره علمٌ يدرس بصورةٍ منهجيّة مسيرة المجتمعات، بما يشمل عمليّات التغيّر وديناميّات الحياة في مختلف أبعادها عبر الماضي. ويُفهم الماضي بوصفه سلسلةً من الأحداث التي وقعت بالفعل، غير أنّه ليس كياناً جامداً أو مغلقاً، إذ تظلّ آثاره مؤثّرةً في مجريات الحياة اللاحقة. وتُعدّ أفعال الإنسان محورَ البحث التاريخي لارتباطها الوثيق بيُعد الزمان؛ فالزمن يمنح معنىً لاستمراريّة الحياة، ولا ينفصل الإنسان عنه، إذ تسير حياته في توازٍ دائم مع حركته. ومن ثمّ، فإنّ تطوّر تاريخ البشريّة يترك أثراً ملموساً في واقع المجتمعات المعاصرة، كما يُسهم في تشكيل ملامح المستقبل (Madjid, ٢٠١٤). والتاريخ، بما هو علمٌ يدرس مسيرة الإنسان وما أحرزه من منجزاتٍ كبرى عبر العصور، يستمدّ مادّته في الأساس من التجربة الإنسانيّة ذاتها. وغالباً ما يُنسب الإقرار بالتاريخ بوصفه علماً إلى هيودوت، المؤرّخ

اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد، الذي عُرف بمؤلفاته حول الحروب الفارسيّة، ولذلك يُعدّ من رواد التدوين التاريخي (Kochhar, ٢٠٠٨).

لا يمكن فصل مفهوم التاريخ عن بُعد الزمان، ولا سيّما الزمن الماضي. فالتاريخ يُفهم بوصفه سلسلةً من أحداث الماضي التي تحتزن خبرات الإنسان، ويمكن إعادة دراستها وتحليلها في الحاضر. ومن خلال هذا التناول، يكتسب الإنسان فهماً أوسع لقراءة الواقع الراهن، فضلاً عن استشراف إمكانيات التطوّر في المستقبل. وبذلك لا يقتصر دور التاريخ على كونه سجلاً للماضي فحسب، بل يتجاوز ذلك ليغدو وسيلةً للتأمل النقدي في الحياة الاجتماعيّة المعاصرة. يُسهّم فهم التاريخ في تمكين المجتمع من تتبّع جذور مختلف القضايا الاجتماعيّة والصراعات، فضلاً عن الديناميّات التي ما تزال في طور التطوّر. ومن خلال دراسة الأحداث السابقة، يستطيع الفرد التعرّف على الأنماط المتكرّرة، وفهم الخلفيّات التي أدّت إلى نشوء التوتّرات الاجتماعيّة، وصياغة بدائل للحلول تكون أكثر ملاءمةً للسياق وأكثر استدامة. وفي هذا الإطار، يؤدّي التاريخ دورَ الجسر الذي يربط بين خبرات الماضي وتحديات الحياة المعاصرة (Martha et al., ٢٠٢٣).

علاوةً على ذلك، يحتلّ التاريخ موقعين أساسيين؛ أولهما بوصفه جزءاً من العلوم الاجتماعيّة (Social Science) وثانيهما بوصفه مكوناً ضمن مادّة الدراسات الاجتماعيّة (Social Studies). فبوصفه تخصصاً من تخصصات العلوم الاجتماعيّة، يتّجه التاريخ إلى تنمية المعرفة الإنسانيّة من خلال البحث المنهجي والتحليل العلمي. أمّا في إطار الدراسات الاجتماعيّة، فإنّ التاريخ يُوجّه نحو أهداف تعليميّة، تتمثّل في تبسيط مختلف فروع العلوم الاجتماعيّة ودمجها، بحيث يسهل على المتعلّمين فهمها وتصبح أكثر ارتباطاً بحياتهم اليوميّة (Senen, ٢٠١٤).

لا يمكن فصل تطوّر الدراسات التاريخيّة الحديثة عن الدور الذي أدّاه ليوبولد فون رانكه في القرن التاسع عشر، إذ أكّد على أهميّة الاعتماد على المصادر المكتوبة، ولا سيّما الأرشيف، أساساً رئيساً في كتابة التاريخ. ومنذ ذلك الحين، أضحت الوثيقة تُعدّ ركيزةً علميّة

في إعادة بناء أحداث الماضي. وقد تجسّد هذا التوجّه في المبدأ الشهير "لا وثيقة، لا تاريخ"، أي إنّ الحدث من دون دليل مكتوب يصعب التحقق منه أكاديميًا، ومن ثمّ اعتُبرت الوثائق المصدر الأهمّ في البحث التاريخي (Priyadi, ٢٠١٧).

ومع تطوّر مناهج البحث التاريخي، لم يُعَدِ المؤرّخون يقتصرون على الأرشفة المكتوب وحده. ففي الممارسة البحثيّة التاريخيّة يُعرّف تصنيفُ المصادر وفق أشكالها وصلتها بزمان وقوع الحدث. ويشمل هذا التصنيفُ المصادرَ الشفهيّة (المتّصلة في التراث الشفهي أو التاريخ الشفهي) التي تحفظ الذاكرة الجماعيّة للمجتمع، والمصادر الماديّة التي تُجسّد الآثار الملموسة للحياة الماضية (اللقى والقطع الأثريّة)، فضلًا عن المصادر المكتوبة التي يُطلَق عليها عادةً اسم الوثائق (Gottschalk, ١٩٧٥: ٣٥-٣٦، Kuntowijoyo, ١٩٩٥: ٩٦-٩٤)، ومن بينها:

١. يُفهم التاريخ الشفهي بوصفه تسجيلًا للتجارب المباشرة التي يرويها الفاعلون أو شهود العيان شفهيًا للباحث من خلال عمليّة المقابلة. وبعبارةٍ أخرى، يستند التاريخ الشفهي إلى ذاكرةٍ مباشرةٍ لمخبرين ما يزالون على قيد الحياة، وقادرين على استحضار تجاربهم الماضية واستعادتها بوعي (ANRI, ١٩٨١). وهذه الخصيصة تجعل من التاريخ الشفهي وسيطًا مهمًا في إعادة بناء الأحداث التي لم تُوثّق دائمًا في مصادر مكتوبة. وتكمن الميزة الأساسيّة للمصادر الشفهيّة في طابعها الإنساني؛ إذ تختلف عن المصادر المكتوبة أو اللّقى الأثريّة ذات الطبيعة الساكنة، ذلك أنّ راوي التاريخ الشفهي إنسانٌ حيٌّ يمتلك وعيًا وعاطفةً وذاكرةً ورؤيةً شخصيّةً تجاه الحدث الذي عايشه. ويحمل كلّ راوٍ خلفيّةً اجتماعيّةً وسماتٍ فرديّةً خاصّة، بحيث لا تقتصر المعلومات المنقولة على عرض الوقائع فحسب، بل تتضمّن أيضًا الدلالات الذاتيّة الملازمة للتجربة (Priyadi, ٢٠١٧). وتتيح هذه الأبعاد للباحث الوقوف على الجانب الإنساني للتاريخ، الذي كثيرًا ما يغيب عن الأرشفات الرسميّة (Kurniawati et al., ٢٠٢٠).

٢. تحتلّ المصادر المكتوبة (الوثائق والأرشيفات) مكانةً محوريّةً في البحث التاريخي، إذ تؤدّي وظيفة المصدر الأوّلي الذي يُسجّل أحداث الماضي، ويحفظ في الوقت ذاته آثار الذاكرة الجماعيّة للمجتمع. وقد أكّد (Kartodirdjo, ١٩٩٢) أنّ الوثيقة تمثّل نقطة الانطلاق في العمل التاريخي. ويتّسق هذا الرأي مع مقولة لويس غوتشالك (Louis Gottschalk, ١٩٥٠) الشهيرة: "no document"، "no history"، التي تُشير إلى أنّ الكتابة التاريخيّة تفقد أساسها الواقعي في غياب الوثائق. وعلاوةً على ذلك، يرى (Charles-Victor Langlois dan Charles Seignobos) أنّ التاريخ في جوهره يُبنى عبر عمليّة تأويل الوثائق (Lundgren, ١٩٨٩). وبذلك لا تُعدّ الوثائق مجرد تجميع للبيانات، بل هي المادّة الرئيسة التي تُعالج معالجةً نقديّةً لبناء السردية التاريخيّة (Hayati, ٢٠٢٣).

٣. تحتفظ المصادر الماديّة بطائفةٍ من قصص الماضي التي لا تُدوّن دائماً في الوثائق المكتوبة، بل قد يُهمل بعضها عمدًا. وفي الدراسات التاريخيّة تُعرف هذه المصادر باسم "اللّقى الأثريّ" (Artefacts)، وهي الأشياء الناتجة عن النشاط الإنساني، سواء أكانت نتاجاً فرديّاً أم حصيلة تفاعل اجتماعي. وتعكس المصادر الماديّة أنماط العيش، والقيم الثقافيّة، ومستوى التقانة، وأشكال العلاقات الاجتماعيّة السائدة في عصرها. ويمكن العثور على اللّقى الأثريّة في صورٍ وأماكن متعدّدة؛ فمنها ما يُحفظ في المتاحف بوصفه مجموعاتٍ مخصّصة للبحث والتعليم، ومنها ما يبقى في موضعه الأصلي ثم يُصنّف تراثاً ثقافياً يخضع لحماية الدولة. وتكتسب هذه المصادر أهميّة خاصّةً لكونها «شاهداً صامتاً» على مسيرة التاريخ، إذ تؤدّي دوراً أساسيّاً في فهم الواقع التاريخي الذي لا تمثّله الأرشيفات المكتوبة دائماً تمثيلاً كاملاً (Yonggom, ٢٠٢١).

كما قدّم ريني (Renier, ١٩٩٧: ١٠٤) تصنيفاً مماثلاً، إذ قسّم المصادر التاريخية إلى فئتين رئيسيتين: مصادر غير مادية ومصادر مادية، على أن تُقسّم المصادر المادية بدورها إلى مصادر مكتوبة وأخرى غير مكتوبة. ومن حيث أصلها ومصدرها، يمكن التمييز بين المصادر التاريخية إلى مصادر أولية وثانوية وثالثية (Garraghan, ١٩٤٦: ١٠٧).

١. تُعدّ المصادر الأولية تلك التي تصدر عن أفراد أو جهاتٍ شهدوا الحدث مباشرةً، أو سمعوه، أو عاشوه بأنفسهم، ثم قاموا بتدوينه أو روايته لاحقاً. وبوجه عام، يمكن التمييز بين نوعين من المصادر الأولية. الأول: المصادر الأولية الصارم (Primary Sources) (Strictly)، وهي التي تصدر مباشرةً عن شاهد عيانٍ أو فاعلٍ في الحدث، بحيث تكون معلوماتها الأقرب إلى واقع الوقائع. والثاني: المصادر الأولية الأقل صرامة (Less Strictly Primary Sources)، وهي التي كُتبت في الزمن نفسه الذي وقع فيه الحدث، غير أنّها لم تصدر عن أطرافٍ شاركوا فيه بصورة مباشرة. ومع ذلك، يظلّ هذا النوع الثاني ذا أهمية، لما يقدمه من صورة عن السياق الاجتماعي والظروف العامة لذلك العصر (Septiani, ٢٠٢٢).

٢. أمّا المصادر الثانوية فهي التي لا تُستمدّ معلوماتها مباشرةً من الحدث المدروس، بل تقوم على رواياتٍ أو تقارير صادرة عن أطرافٍ أخرى (Septiani, ٢٠٢٢). كما يمكن فهمها بوصفها صيغةً من صيغ التأويل أو التحليل التي يُعدّها المؤرخون أو الباحثون اعتماداً على المصادر الأولية أو النتائج السابقة (Sabolíková & Saboviková, ٢٠٢٤). ومن خلال هذا النوع من المصادر، تُعاد صياغة الوقائع التاريخية ودراستها وإضفاء الدلالات عليها وفق منظور كاتبها. ومن أمثلة المصادر الثانوية: كتب التاريخ، والمقالات العلمية، والمراجعات الأدبية، وتقارير البحوث التي تهدف إلى معالجة المعلومات المستندة إلى البيانات الأولية وتفسيرها وشرحها (Primer, ٢٠٢٤).

٣. تُعدُّ المصادرُ الثالثيةُ فئةً خاصّةً من المصادر، ولا يُعملُ بها دائماً على نحوٍ شاملٍ في الدراسات التاريخية. ويشمل هذا النوع عادةً الأعمال الأكاديمية، مثل البحوث الجامعية (رسائل الإجازة)، ورسائل الماجستير، وأطروحات الدكتوراه، فضلاً عن سائر الكتابات العلمية الأخرى. وفي الممارسة البحثية التاريخية، كثيراً ما تُوضع المصادر الثالثية في منزلةٍ قريبةٍ من المصادر الثانوية، لأنّ كليهما يمثل نتائجاً لتحليلٍ أو تفسيرٍ قائمٍ على بياناتٍ متاحةٍ سلفاً. ولذلك، فإنّ تصنيف المصادر في تقاليد علم التاريخ يُختزل في الغالب إلى مجموعتين رئيسيتين، هما المصادر الأولية والمصادر الثانوية (Septiani, ٢٠٢٢).

ب. التاريخانية الجديدة لستيفن غرينبلات

تُعدُّ التاريخانية الجديدة (New Historicism)، المعروفةُ باسم "التاريخ الجديد"، مصطلحاً قدّمه الناقد الأدبي الأمريكي (Stephen Greenblatt) من خلال عددٍ من أعماله، من بينها: (Three Modern Satirist : Waugh, Orwell, and Huxley, ١٩٦٥)، (Sir Walter Renaissance Self-Fashioning:)، (١٩٧٣)، (Renaissance Man and His Roles Raleigh: The From More to Shakespeare, The Power of the Forms in the English Renaissance ١٩٨٢)، (Shakespearean Shakespearean Negotiations: The Circulation of Social Energy in)، (Renaissance England, ١٩٨٨). وعموماً، تميلُ هذه الأعمالُ إلى التركيز على الجانب التطبيقي أكثر من انشغالها بصياغة إطارٍ نظريٍّ منهجيٍّ صارمٍ؛ إذ حرص غرينبلات على إبراز تطبيق أفكاره مباشرةً عبر تحليل النصوص وقراءتها قراءةً تاريخيةً، بدلاً من بناء نسقٍ نظريٍّ مغلقٍ ذي طابعٍ رسميٍّ. ومن الناحية الاصطلاحية، تُعرّف التاريخانية الجديدة (New Historicism) بأنّها مقارنةٌ في الدراسات الأدبية تسعى إلى تنمية فهم التاريخ الفكري من خلال النصوص الأدبية، وفي الوقت نفسه فهم النصّ الأدبي ذاته ضمن سياقه الثقافي الذي يتشكّل فيه ويتأثر به (٢٠١٩ Rodiah).

ظهر مصطلح التاريخانية الجديدة (New Historicism) بعد مرحلة هيمنت فيها على ساحة النقد الأدبي مقارباتٌ عدّة، مثل النقد الجديد، والبنويّة، والتفكيكية (Barry, ٢٠٠٢). وقد بدأ هذا التوجّه في التبلور والانتشار على نطاقٍ أوسع خلال القرن العشرين (٢: ٢٠١٦: Ardhianti). وفي منظور التاريخانية الجديدة (New Historicism)، سواء على الصعيد النظري أم في مستوى الممارسة التحليليّة، يضع (Stephen Greenblatt) في (Brannigan, ١٩٩٨) العلاقة بين التاريخ والأدب في صدارة اهتمامه. وبعبارةٍ أخرى، يُقرأ النصّ الأدبي كما لو كان نصّاً تاريخيّاً (Taufiqurrohman, ٢٠١٩). ويوجّه غرينبلات تحليله إلى إقامة حوارٍ بين النصّ الأدبي والنصّ التاريخي من أجل إبراز حكاياتٍ أو شواهد معيّنة، وبيان دلالة اختلاف تمثيلات سرد الماضي عند قراءتها أو تأويلها في الحاضر. وفي هذا السياق، يُفهم العمل الأدبي بوصفه بنيةً متشظيةً ومفعمةً بالمفارقات، تتوسّط بين الواقع وتمثيله، وبين النصّ المكتوب والعالم التجريبي الذي يحيط به. ويؤكد غرينبلات كذلك أنّ التاريخانية الجديدة (New Historicism) تفتح أفقاً تحليليّاً مغايراً، إذ يُدرّس النصّ الأدبي في ضوء الشروط التاريخية التي أنتج فيها، وكذلك في سياق تلقّيه واستهلاكه اجتماعيّاً. ومن ثمّ، فإنّها لا تنظر إلى العلاقة بين الماضي والحاضر بوصفها علاقةً ثابتةً أو بسيطة، بل تراها حواراً متواصلاً بين السياق التاريخي وقراءات الحاضر (٢٠١٤: Bhat).

يُعَدُّ النصّ في جوهره نتاجاً للقوى الاجتماعية التي تعمل ضمن السياق التاريخي لعصره، غير أنّه في الوقت ذاته يمتلك قدرةً على إنتاج الواقع الاجتماعي والتأثير فيه (٢٠٢٣: Surur et al.). فالنصّ الأدبي يُفهم بوصفه منتجاً مادياً تشكّل في شروطٍ تاريخيّة معيّنة. وكلٌّ من النصّ الأدبي والنصّ التاريخي هو في حقيقته حصيلةٌ تأويل المؤلّف، ولا يمكن فصله عن الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية التي أحاطت بحياته. وانسجاماً مع هذا التصوّر، يؤكد (John, ١٩٩٩: ٣) أنّ النصوص، سواء أكانت أدبيّة أم تاريخيّة، تؤدّي وظيفة الفاعل في بناء الفهم للواقع الثقافي.

يُبيّن Stephen Greenblatt (٢٠٠٠) أنّ التاريخانيّة الجديدة (New Historicism) تُستخدَم لفهم أحداث الماضي من خلال وضع الوثائق التاريخيّة وغير التاريخيّة في منزلة متكافئة بوصفها مصادر للمعرفة، والنظر إليها باعتبارها تمثيلات ثقافيّة متساوية الأهميّة في إعادة بناء الواقع التاريخي. كما تؤكّد التاريخانيّة الجديدة (New Historicism) أنّ النصّ الأدبي يحضر محملاً بقوى اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة (Brannigan, ١٩٩٩: ٤٢١). وفي إطار الدراسات الأدبيّة والتاريخيّة، لا تُفهم التاريخانيّة الجديدة (New Historicism) بوصفها مذهباً جامداً، بل بوصفها نمطاً عملياً أو مقارنةً عمليّة (Practice Best) في تحليل النصوص (Ardhianti, ٢٠١٦: ٣). وبذلك تتضمّن التاريخانيّة الجديدة (New Historicism) مجالين مترابطين يقومان على علاقة تبادليّة بين الأدب والتاريخ؛ أولهما أنّ التاريخ يُسهم في تفسير النصّ الأدبي، وثانيهما أنّ النصّ الأدبي يُعدّ سبيلاً لقراءة الواقع التاريخي والثقافي وفهمه (Ramadhany et al., ٢٠٢٣).

صاغ (Veaser, ١٩٨٩) خمسَ فرضيّاتٍ أساسيّة تُعدّ منطلقاً للتاريخانيّة الجديدة (١٣٢) (Castle, ٢٠٠٧)، وهي: (١) إنّ كلّ فعلٍ تعبيريّ يوجد دائماً ضمن شبكةٍ من الممارسات الماديّة؛ (٢) إنّ كلّ نقدٍ يستخدم في نهاية المطاف الأدوات ذاتها التي ينتقدها، ومن ثمّ يكون معرّضاً للوقوع في الممارسات التي يسعى إلى كشفها؛ (٣) إنّ النصوص الأدبيّة وغير الأدبيّة تتداول في سياقٍ واحدٍ غير منفصل؛ (٤) لا يوجد خطابٌ يتيح وصولاً إلى حقيقةٍ ثابتةٍ أو يعبر عن جوهرٍ إنسانيٍّ غير متغيّر؛ (٥) إنّ مناهج النقد في النظام الرأسمالي تُسهم بدورها في الاقتصاد الذي تصفه.

واستناداً إلى رأي (Barry, ٢٠١٠: ٢٠٣)، فإنّ التاريخانيّة الجديدة (New Historicism) لا تضع النصّ الأدبي في مركزٍ متميّز ذي خصوصيّة مطلقة، بل تتعامل مع النصوص الأدبيّة وغير الأدبيّة على قدم المساواة. فالأثر الأدبي يُفهم بوصفه جزءاً من شبكةٍ أوسع من الخطابات، بحيث لا يقتصر مجال الدراسة على الرواية وحدها، بل يشمل أيضاً نصوصاً أخرى ذات صلة ضمن الإطار الثقافي والتاريخي نفسه.

يرى (Stephen Greenblatt, ١٩٨٠) أنّ كلّ عملٍ أدبيّ هو حصيلةُ بناءٍ ثقافيّ نشأ في خضمّ الديناميّات الاجتماعية والسياسيّة لعصره؛ وبعبارةٍ أخرى، فإنّ النصّ الأدبي لا يظهر في حيادٍ تامّ، بل يتشكّل عبر تفاعل قوى اجتماعيّة متعدّدة فاعلة في المجتمع. وقد عزّز (١٩٨٩) Louis Montrose، هذا التصرّو بتأكيده أنّ العمل الأدبي لا يكتفي بعكس الواقع الاجتماعي، بل يُسهم كذلك إسهامًا فعّالًا في تشكيله والتأثير فيه. ومن ثمّ، تظلّ هذه المقاربة وثيقة الارتباط بالسياقين التاريخيّ والثقافيّ اللذين وُلد فيهما النصّ (Rodiah, ٢٠١٩).

في مقالته "The Touch of the Real" يؤكّد (Greenblatt & Gallagher, ١٠٠٥: ٨-٩) أنّ الواقع الذي يُستحضّر في العمل الأدبي لا يمكن فهمه بوصفه عالمًا بديلاً منفصلاً عن الحياة الفعلية، بل إنّ الأدب يؤدّي وظيفة الوسيط الذي يُعمّق ويُكثّف فهمنا للعالم الواحد الذي نعيش فيه (single realm) كما يبيّن غرينبلات (٢١: ٢٠٠٠ Greenblatt & Gallagher) أنّ التاريخانيّة الجديدة (New Historicism) تتبنّى مفهوم "الوصف الكثيف" (Thick Description)، وهو مصطلح قدّمه أوّلًا عالم الأنثروبولوجيا. (Clifford Geertz) ولا يقتصر الوصف الكثيف على جمع الوقائع السطحيّة، بل يركّز على استكشاف الدلالات المعقّدة الكامنة وراء الحدث أو النصّ، ولا سيّما المعاني التي تتشكّل عبر أنظمة الرموز والشفرات الثقافيّة الخاصّة بسياقٍ معيّن.

في الدراسات الأدبيّة، يطرح مايرز (Myers, ١٩٨٩) أربع مسلّماتٍ رئيسة تُعدّ أساسًا للتاريخانيّة الجديدة (New Historicism). فأوّلًا، يُنظر إلى العمل الأدبي بوصفه ذا قيمةٍ تاريخيّة، لا مجرد تسجيلٍ لأفكارٍ فردية؛ إذ يُعدّ نتاجًا اجتماعيًا ثقافيًا، ومن ثمّ ينبغي فهمه في ضوء السياق المجتمعي والثقافيّ الذي نشأ فيه. وثانيًا، يُمثّل العمل الأدبي منظورًا معيّنًا للتاريخ، بمعنى أنّ كلّ نصٍّ يحمل تأويلًا خاصًا لواقع عصره. وثالثًا، كما هو حال الأدب، فإنّ الإنسان بمن في ذلك المؤرّخ والناقد الأدبي لا ينفصل عن الضغوط الاجتماعية والسياسيّة التي تؤثر في طريقة تفكيره وأحكامه. ورابعًا، يترتّب على ذلك أنّ المؤرّخ أو الناقد الأدبي لا يكون محايدًا

حياداً كاملاً، لأنّه يظلّ مرتبطاً بشروطه التاريخيّة الخاصّة؛ إذ لا يستطيع أيُّ فردٍ أن يتحرّر تماماً من البنى الاجتماعيّة التي أسهمت في تشكيله (Ardhianti, ٢٠١٦).

لم يُعدّ الأدبُ يُفهم بوصفه كياناً قائماً بذاته، منفصلاً عن التاريخ، أو كأنّه معلقٌ في فراغٍ بعيداً عن الواقع الاجتماعي (Foucault, ٢٠١٢: ٨٥). وتؤكد هذه الرؤية أنّ العمل الأدبي يولد دائماً من شروطٍ تاريخيّة محدّدة، ويتشابك مع الخطابات السائدة في عصره. ومن ثمّ، تُفهم التاريخانيّة الجديدة (New Historicism) في النقد الأدبي بوصفها حركة "عودةٍ إلى التاريخ"، إذ تفتح المجال لتعدّد الروايات في كتابة التاريخ، بحيث لا يُختزل في منظورٍ واحدٍ مهيمن. ومن خلال هذا الإطار، يمكن إبراز خبرات الفئات الاجتماعيّة الصغرى، والمهمّشة، والمستضعفة، ومنحها حيّزاً من التمثيل بعد أن أُقصيت طويلاً من السرديّات التاريخيّة السائدة (Mttaqin, ٢٠٢١؛ Sayar, ٢٠٢٤). وانسجاماً مع ذلك، تنظر التاريخانيّة الجديدة (New Historicism) إلى العمل الأدبي بوصفه نتاجاً لسياق الزمان والمكان والبيئة الاجتماعيّة التي أُبدع فيها (Ardhianti, ٢٠١٦: ٣). وقد نشأ هذا الاتجاه النقدي استجابةً لقصور المقاربات الشكليّة التي انحصرت في تحليل البنى الداخليّة للنصّ، مؤكّداً أنّ فهم العمل الأدبي فهمًا شاملاً يقتضي ربطه بسياقه التاريخي والثقافي وبالظروف السوسيوسياسيّة المحيطة به (١٧٢: Syafitri et al., ٢٠٢٥).

يحتلّ الكاتبُ (إقرأ: الأديب) موقعاً مهمّاً واستراتيجيّاً، إذ يُنظر إليه بوصفه قادراً على أداء دور المُمثِّل الثقافي داخل المجتمع من خلال أعماله الأدبيّة. فالعمل الذي يُبدعه لا يُعدّ مجرد منتجٍ جماليّ، بل يُسهم أيضاً في عمليّة تشكيل الثقافة وتطوُّرها. والمجال الجمالي الذي يشتغل عليه الكاتب يُمثّل صورةً من صور انخراطه المباشر بوصفه فرداً يعيش ضمن ديناميّات اجتماعيّة وتاريخيّة معيّنة. إنّ الأفكار التي يبتّنها في عمله التخيليّ تمتلك قدرةً على التأثير في آراء المجتمع ووعيه، بل والمشاركة في تشكيلهما (Damono, ١٩٩٤). وفي هذا السياق، يمكن للشخصيّات المتخيّلة في العمل الأدبي أن تمثّل امتداداً للكاتب، مع بقاء جوهرها ووجودها في

نطاق سلطته الإبداعية. فمن خلال بناء الشخصيات والحبكة والصراع، يُضَمِّن الكاتب بصورة غير مباشرة رؤاه ومواقفه وتوجهاته الأيديولوجية. وهنا يتجلى دوره بوصفه فاعلاً مركزياً يُمرّر أفكاره عبر اللغة بوصفها الوسيط الأساس للأدب. ويتبدى ذلك، على سبيل المثال، في أقوال الشخصيات (Anderson, ١٩٩١)، كما في أفعالها وسلوكياتها وطرائق تشكيلها، التي تعكس رؤية الكاتب وأفكاره. وبذلك يغدو النص الأدبي فضاءً يتفاوض فيه الكاتب مع الواقع الاجتماعي، ويُنشئ من خلاله خطاباً ثقافياً عبر الاستراتيجيات الجمالية التي يعتمدها. ترى التاريخانية الجديدة (New Historicism) أنّ التاريخ لا يكون موضوعياً كاملاً، ولا متكاملًا على نحوٍ مطلق، ولا خاليًا من القيم. فكلُّ سرديّة تاريخية هي حصيلة بناء يُنجزه كاتبها، ولذلك تظلّ قابلةً لإعادة التأويل. كما أنّ كتابة التاريخ لا تنفصل عن التحيزات الذاتية التي تؤثر في الطريقة التي يفهم بها المؤرّخ أو الباحث الماضي ومثّله. وانطلاقاً من هذا التصوّر، تؤكّد التاريخانية الجديدة (New Historicism) أنّ التاريخ ليس سوى شكلٍ من أشكال الخطاب المتعددة التي يستخدمها الإنسان لتفسير خبراته الحياتية والأحداث التي يعيشها. وفي هذا الإطار، يُوضَع التاريخ في منزلةٍ موازيةٍ لتخصّصاتٍ أخرى، مثل علم الاجتماع والعلوم السياسية وغيرها من الحقول المعرفية. ولا تُفهم الأحداث التاريخية بوصفها وقائع قائمة بذاتها أو جارية على سبيل المصادفة، بل تُدرك بوصفها ظواهر معقّدة مشبعةً بالدلالات. فكلُّ حدثٍ ينطوي على خفّياتٍ معيّنة ينبغي تتبعها وتحليلها تحليلًا نقدياً (Ardhianti, ٢٠١٦: ٤).

لا يتسق مفهوم التاريخ بوصفه كياناً واحداً ثابتاً يسير في خطٍّ خطّي مع منظور التاريخانية الجديدة (New Historicism)؛ إذ ترفض هذه المقاربة الافتراض القائل بأنّ التاريخ يمثّل حقيقةً مكتملةً ونهائيةً. وعلى العكس من ذلك، تدعو إلى فهمٍ أكثر تعقيداً وتعدّداً للثقافة والتاريخ، مع مراعاة الكيفية التي تعمل بها علاقاتُ القوة في تشكيل الأحداث التاريخية والتأثير فيها (Kara, ٢٠٢٠). ومع ذلك، يُعدّ (Louis Montros) أول من قدّم صياغةً نظريّةً أكثر انتظاماً للتاريخانية الجديدة (New Historicism)، حيث وضع مبادئها الأساس بوصفها إطاراً

مفاهيميًا لتأويل النصوص. ومن خلال مفهومي "نصية التاريخ" (Textuality of History) و"تاريخية النص" (Historicity of the Text)، أكد مونتروز العلاقة التبادلية بين التاريخ والأدب؛ فمفهوم نصية التاريخ يشير إلى أنّ النصوص التاريخية تتسم بخصائص سردية تماثل ما نجده في الأعمال الأدبية، في حين يؤكد مفهوم تاريخية النص أنّ النصّ الأدبي يشارك بدوره في تشكيل الأحداث التاريخية وإضفاء الدلالة عليها (Syarofina & Zawawi, ٢٠٢٤).

استنادًا إلى العرض السابق، يُفهم أنّ التاريخانية الجديدة (New Historicism) أقرب إلى أن تُوصف بأنها حركة ذات نزعة تاريخانية (historicist movement) لا مجرد حركة تاريخية (historical movement) (Barry, ٢٠١٠). أي إنّها لا تقتصر على الاهتمام بأحداث الماضي في ذاتها، بل تشغل كذلك بكيفية استمرار تشكّل التاريخ عبر النصوص وعمليات التأويل المتعاقبة. وفي ضوء هذا التصوّر، تفترض التاريخانية الجديدة (New Historicism) أنّه لا يوجد ما هو خارج النصّ على نحوٍ مطلق؛ فالمعاني الكامنة في بنيتها، وتستدعي قراءة نقدية معمّقة. ومن ثمّ، فإنّ تفكيك الشبكات اللغوية التي تعمل داخل النصّ يُعدّ خطوةً محوريّة في التحليل. ومن خلال تتبّع اللغة والرموز والخطابات الحاضرة في العمل، يستطيع الباحث الكشف عن علاقات القوّة وبُنى الدلالة الكامنة التي تسهم في تشكيل المعنى وإنتاجه.

يرى باري (Barry, ٢٠١٠) أنّ ثمة ثلاث طبقاتٍ تحليليّة يمكن توظيفها لتفسير الظواهر التاريخية من خلال النصوص. فأوّلًا، يتمّ التحليل عبر المقاربة الأيديولوجيّة، وهي مرحلة أكاديميّة تهدف إلى كشف الأيديولوجيا الكامنة وراء النصّ؛ إذ إنّ النصّ لا يحضر أبدًا في حياد تامّ، بل بوصفه بناءً لغويًا يُسجّل الأحداث التاريخية من خلال شبكة من العلامات والدلالات، ومن ثمّ يحمل في طياته أيديولوجيا معيّنة ويعكسها في آنٍ واحد. بل إنّ (٤٣٤: Gallagher, ١٩٩٩) يؤكد أنّ هذا البعد الأيديولوجي يُعدّ الأكثر هيمنةً في دراسات التاريخانية الجديدة (Historicism New). وثانيًا، يتّجه التحليل إلى دراسة الممارسات الخطائية السائدة في الحقبة التي وُلد فيها النصّ، أي محاولة فهم أنماط الخطاب التي كانت متداولةً آنذاك. فمن

خلال القراءة النقدية يمكن تحديد تلك الممارسات الخطابية الماضية وتحليلها وشرحها على نحو أعمق. أمّا ثالثاً، فيتعلّق التحليل بالممارسات الخطابية في الزمن الحاضر، أي حين يدخل النصّ حيّز الجدل والصراع الخطابي ضمن سياقه المعاصر. ومن خلال هذه القراءة الراهنة، يمكن إعادة وصل الجوانب الجوهرية والأساسية في حياة الإنسان بالأحداث التاريخية الماضية، بما يبرز استمرارية التفاعل بين النصّ والتاريخ عبر الأزمنة المختلفة.

من الناحية التاريخية، لا يمكن فصلُ التاريخانية الجديدة (New Historicism) عن تأثير فكر (Michel Foucault)، ولا سيّما في ما يتعلّق بالعلاقة بين الخطاب والسلطة والمعرفة. فقد مضى فوكو أبعدَ من غيره في طرحه لمفهوم تعاقب "الإبيستيمي" (suksesi episteme)، أي تحوّل أنظمة المعرفة التي تؤسّس لكلّ حقبة تاريخية. وإلى جانب تأثرها بفوكو، ترتبط التاريخانية الجديدة كذلك بأفكار (Karl Marx)؛ غير أنّ الماركسيّة تميل إلى النظر إلى العمل الأدبي بوصفه جزءاً من البنية الفوقية القائمة على القاعدة الاقتصادية، أي باعتباره نتاجاً مادياً وثيق الصلة ببنية الطبقات الاجتماعية. أمّا التاريخانية الجديدة (New Historicism) فلا تقتصر على إبراز الحتمية الاقتصادية، بل تنظر إلى العمل الأدبي ضمن شبكةٍ أوسع من علاقات السلطة والأيدولوجيا والممارسات الثقافية. كما تتقاطع التاريخانية الجديدة (New Historicism) في جوانب عديدة مع المادّية الثقافية (cultural materialism)، غير أنّ هذه الأخيرة أشدّ صراحةً في إبراز الآثار السياسية لدراساتها، ولا سيّما من حيث مقاومتها للبني المهيمنة وانحيازها إلى الفئات التي عُدت تقليدياً مهمّشة. وكثيراً ما تُبرز هذه المقاربة التمييز بين الثقافة العليا (high culture) والثقافة الشعبية أو الدنيا (low culture) بوصفه جزءاً من ديناميات السلطة الثقافية (Rodiah, ٢٠١٩).

إلى جانب ذلك، تُظهر أفكارُ التاريخانية الجديدة (New Historicism) قدرًا من التشابه مع النقد التاريخي الذي طرحه (Hippolyte Taine)؛ إذ يرى تايّن أنّ العمل الأدبي ليس مجرد نتاجٍ لخيال المؤلف، بل يتأثر كذلك بالظروف الاجتماعية المحيطة بعملية إبداعه. وقد صاغ

ثلاثة مفاهيم محورية هي: العرق (race)، والبيئة (milieu)، واللحظة التاريخية (moment)، مؤكّداً أهمية عوامل الأصل والوسط والزمن في فهم العمل الأدبي. كما تتقاطع التاريخانية الجديدة (Historicism New) مع النزعة التاريخية (historicism) في اهتمامها بحياة المؤلّف وسياق زمن التأليف، غير أنّها تميّز عنها بتركيزٍ أوضح على البعد الأيديولوجي؛ فهي لا تنظر إلى السياق التاريخي بوصفه خلفيّةً فحسب، بل تُعنى بكشف الكيفيّة التي تعمل بها الأيديولوجيا داخل النصّ، وكيف يُسهم النصّ ذاته في إنتاج علاقات القوّة والتفاوض حولها ضمن سياقه الزمني والثقافي (Rodiah, ٢٠١٩).

الفصل الثالث

منهج البحث

سوف يُعرضُ منهجُ البحثِ المعتمد في هذا البحث عرضاً منهجياً منظماً في عدّة أقسام، وذلك من أجل جعل مسار المناقشة أكثر انضباطاً ويسراً في الفهم. وتشمل هذه الأقسام ما يأتي: (١) نوع منهج البحث، (٢) مصادر البيانات، (٣) طرائق جمع البيانات، (٤) طرائق تحليل البيانات.

أ. نوع البحث

يعتمد هذا البحث المنهج الكيفي مع توظيف المقاربة الجدلية ضمن إطار التاريخانية الجديدة (New Historicism)، وذلك من خلال قراءة موازية بين نص الرواية ووثائق حادثة عام ١٩٤٩ التاريخية، بغية الكشف عن بناء التاريخ المضاد الذي تُشيده الرواية. ويُفهمُ الجدل في فلسفة هيغل بوصفه عمليةً تطوّر للأفكار عبر الصراع؛ إذ تقابل الأطروحة (thesis) نقيضها (antithesis)، ومن تفاعلها ينشأ التركيب (synthesis) بوصفه صيغةً جديدةً للفهم. ثمّ يمكن لهذا التركيب أن يغدو أطروحةً جديدةً تدخل بدورها في مواجهةٍ مع نقيضٍ آخر، فتستمرّ العملية على نحوٍ ديناميٍّ يُفضي إلى فهمٍ أقرب إلى الحقيقة (٦٢- Tung, ٢٠١٣: ٦١). أمّا المنهج الجدليّ فيُدرك بوصفه عمليةً تفاعلٍ واستقصاءٍ تشمل العلاقة بين الطبيعة والمجتمع والفكر الإنساني (Syaihu, ٢٠٢٢). وتتسق هذه المقاربة مع تصوّر (Louis Montrose & Stephen Greenblatt) اللذين ينظران إلى العلاقة التبادلية بين النصّ والتاريخ باعتبارها ممارسةً ثقافيةً ذات طابعٍ جدليّ (Montrose, ١٩٨٩).

ب. مصادر البيانات

تُمثّل مصادر البيانات في هذا البحث الركيزة الأساس التي يستند إليها مجمل عملية التحليل في الكشف عن بناء التاريخ المضادّ من خلال مقارنة التاريخيّة الجديدة (New Historicism). وتنقسم مصادر البيانات إلى نوعين رئيسين: مصادر أوليّة ومصادر ثانويّة. فالمصدر الأوّل هو البيانات الرئيسة التي تحصل عليها الباحثة مباشرةً من غير وسيط. ويتمثّل المصدر الأوّل في هذا البحث في رواية "تفصيل ثانوي" التي تُعدّ موضوع البحث الأساس. وقد كتبها لعدنية شبلي، وصدرت لأوّل مرّة باللغة العربيّة سنة ٢٠١٧ عن دار الآداب للنشر والتوزيع في بيروت، وتبلغ في طبعها الأصليّة ١١٢ صفحة. أمّا المصادر الثانويّة فهي البيانات التي تُستمدّ بصورة غير مباشرة من مراجع ذات صلة بموضوع البحث (Amirul et al., ٢٠١٩). ومن بين المصادر الثانويّة المعتمدة في هذا البحث : "1948: A History of the First Arab-Israeli War" (Benny Morris, ٢٠٠٨)، "Israel: A Reborn Concise History of a Nation" (Daniel Gordis, ٢٠١٦)، "Exodus" (Leon ١٩٥٨)، "Berebut Tanah Suci Palestina" (Abu Bakar, ٢٠٠٨). وإلى جانب هذه المراجع التاريخيّة، يعتمد البحث كذلك على العمل النظري " : Renaissance Self-Fashioning "From More to Shakespeare" (Stephen Greenblatt, ١٩٨٠) بوصفه مرتكزاً مفاهيمياً لفهم العلاقة الجدليّة بين النصّ والتاريخ والسّلطة ضمن إطار التاريخيّة الجديدة (New Historicism). ومن خلال المزاوجة بين هذه المصادر الأوليّة والثانويّة، يُنجز البحث قراءة موازية تروم استجلاء الكيفيّة التي تُشيد بها الرواية سرديةً تاريخيّةً مضادّةً إزاء الكتابة التاريخيّة الرسميّة لحادثة عام ١٩٤٩.

ج. طريقة جمع البيانات

في هذا البحث، اعتمدت الباحثة تقنيتين في جمع البيانات، وهما تقنية القراءة وتقنية التدوين. وقد طُبِّقت هاتان التقنيتان بصورة منهجية ومتدرّجة من أجل الحصول على بياناتٍ وثيقة الصلة بموضوع البحث، والمتمثل في تمثيلات التاريخ الاجتماعي، وديناميات السلطة السياسية، والعلاقات الاقتصادية في حادثة عام ١٩٤٩ كما شُيّدت في الرواية. وتُنجز تقنية القراءة عبر مراحل عدّة على النحو الآتي:

١. قامت الباحثة بقراءة دقيقة ومتكررة لرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي. ولم تقتصر هذه القراءة على الاطلاع العام، بل أُنجزت قراءة تحليلية ترمي إلى تحديد المقاطع النصية التي تُمثّل الأوضاع الاجتماعية للمجتمع الفلسطيني، وعلاقات القوة بين الأطراف المعنية، فضلاً عن المؤشّرات الدالة على البنى الاقتصادية التي شكّلت خلفية حادثة عام ١٩٤٩. ومن خلال هذه القراءة المعمّقة، عمدت الباحثة إلى تمييز السرديات والحوارات وأوصاف الأحداث، وكذلك الرموز الخاصة التي تُسهم في بناء تاريخٍ مُضادٍّ إزاء الكتابة التاريخية الرسمية.

٢. قامت الباحثة بقراءة ودراسة طيفٍ من الوثائق غير الأدبية المتعلقة بحادثة عام ١٩٤٩، مثل كتب التاريخ، والمقالات الأكاديمية، والرسائل الجامعية، وأخبار الوسائط الإلكترونية، والتقارير التاريخية التي تناولت الديناميات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في تلك الحقبة. وقد أُنجزت قراءة هذه المصادر التاريخية بهدف تكوين تصوّرٍ عن بناء التاريخ الرسمي والخطاب المهيمن السائد آنذاك، تمهيداً لإجراء مقارنةٍ موازيةٍ بينها وبين التمثيلات الواردة في نصّ الرواية.

بعد إنجاز مرحلة القراءة، طُبِّقت الباحثة تقنية التدوين بوصفها خطوةً منهجيةً في

تنظيم البيانات وترتيبها على نحوٍ علميٍّ دقيق. أمّا خطواتها فتمثّل فيما يأتي:

١. قامت الباحثة بتدوين المقتطفات المهمة الواردة في الرواية التي تُبرز تمثيلات التاريخ الاجتماعي، وأشكال علاقات القوة، وممارسات الهيمنة، وأنماط المقاومة، فضلاً عن تصوير الأوضاع الاقتصادية المرتبطة بمحادثة عام ١٩٤٩. وقد أُنجزت عملية التدوين من خلال تصنيف البيانات وفق فئات اجتماعية وسياسية واقتصادية، وذلك تيسيراً لمرحلة التحليل اللاحقة وضماناً لتنظيم المعطيات على نحوٍ منهجيّ.

٢. كما قامت الباحثة بتدوين البيانات الواردة في الوثائق غير الأدبية، ولا سيما الأجزاء التي تشرح تسلسل الأحداث، والسياسات السياسية، والمصالح الأيديولوجية، فضلاً عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع في تلك الفترة. ثمّ صُنِّفت هذه البيانات التاريخية ودُججت مع معطيات الرواية عبر عملية قراءة موازية، بما أتاح للباحثة تحديد أوجه الاختلاف والتوتر وتفاوض المعنى بين السردية الأدبية والكتابة التاريخية الرسمية في بناء تاريخ مُضادّ.

د. طريقة تحليل البيانات

في كلّ بحثٍ علميٍّ، يرتبط طريقة تحليل البيانات ارتباطاً وثيقاً بالإطار النظري الذي يقوم عليه موضوع البحث ويعتمد عليه. وفي هذه المرحلة، تُجري الباحثة عملية انتقاء للبيانات ومعالجتها وتأويلها على نحوٍ فعّال، بما ينسجم مع الأهداف البحثية المصوغة سلفاً (Ahmadi, ٢٠١٩: ٢٤٨). أمّا طريقة تحليل البيانات المعتمد في هذا البحث، فيستند إلى الآليات التي طُوِّرت ضمن إطار التاريخانية الجديدة (New Historicism)، ويشمل: (١) تحليل العلاقة المتوازية أو الجدلية بين النصّ الأدبي والنصوص غير الأدبية، (٢) عرض نتائج التحليل وتنظيمها بصورةٍ منهجيةٍ منظّمة (Artika, ٢٠١٥: ٥٢).

١. تحليل العلاقة أو الجدلي بين النصوص الأدبية والنصوص غير الأدبية

في سياق تحليل العلاقة المتوازية أو الجدلية بين النص الأدبي والنصوص غير الأدبية، اتبعت الباحثة عددًا من الخطوات المنهجية الآتية:

أ. أجرت الباحثة قراءة موازية أو جدليةً لرواية "تفصيل ثانوي" لعدنية شبلي (بوصفها نصًا أدبيًا) إلى جانب عددٍ من الوثائق التاريخية المتعلقة بحادثة عام ١٩٤٩ (بوصفها نصوصًا غير أدبية). وقد شملت هذه الوثائق مصادر تناولت الديناميات الاجتماعية للمجتمع الفلسطيني، وعلاقات السلطة السياسية، فضلًا عن الأوضاع الاقتصادية التي شكّلت خلفية تلك الحادثة. ويهدف هذا الإجراء إلى إقامة ترابطٍ منهجي بين المعطيات المستقاة من النص الأدبي والمعطيات الواردة في النصوص التاريخية، بما يُبرز الكيفية التي تُمثّل بها الرواية السردية التاريخية الرسمية، وفي الوقت نفسه تُعيد التفاوض حولها وتفكيكها.

ب. ثمّ قامت الباحثة بربط البيانات ذات الصلة من كلا النوعين من النصوص ومقارنتها وتلخيصها، ولا سيّما المعطيات التي تُظهر تمثيلات التاريخ الاجتماعي، وديناميات السلطة، فضلًا عن المصالح السياسية والاقتصادية في حادثة عام ١٩٤٩. وقد أُنجز هذا الإجراء استنادًا إلى مبادئ التاريخية الجديدة (New Historicism) التي رائدها (Stephen Greenblatt)، والتي تنظر إلى النص الأدبي والنص التاريخي بوصفهما ممارستين خطابيتين تتفاعلان في ما بينهما في تشكيل بناء المعنى التاريخي وصياغته.

٢. تجميع نتائج التحليل منهجي

في عرض نتائج التحليل وتنظيمها بصورةٍ منهجية، اتبعت الباحثة المراحل الآتية:

أ. تعرض الباحثة نتائج عرضاً منظماً في ضوء إشكاليات البحث المحددة سلفاً، والمتمثلة في تمثيلات التاريخ الاجتماعي لحادثة عام ١٩٤٩، وديناميات السلطة والمصالح السياسية المحيطة بها، فضلاً عن العلاقات الاقتصادية التي شُيّدت في رواية "تفصيل ثانوي". وقد تمّ تنظيم هذا العرض مع الالتزام بالإطار النظري للتاريخانية الجديدة (New Historicism)،

الذي يؤكّد على العلاقة الجدلية بين النصّ والتاريخ والسلطة.

ب. ثمّ قدّمت الباحثة عرضاً تأويلياً يشرح نتائج البحث شرحاً موجزاً ذا طابع تحليلي، بما يُمكنها من الإجابة عن إشكالية البحث المتعلقة بكيفية بناء الرواية تاريخاً مُضاداً إزاء الكتابة التاريخية الرسمية لحادثة عام ١٩٤٩. وقد صيغ هذا البيان في إطار حجاجي متماسك، يُبرز الترابط بين المعطيات النصّية والسياق التاريخي والإطار النظري المعتمد في الدراسة، على نحو يحقق الاتساق المنهجي ويعزز قوّة الاستدلال العلمي.

ج. وفي المرحلة الختامية، صاغت الباحثة الخلاصة صياغةً شاملةً استناداً إلى مجمل نتائج التحليل المعروضة، مع التأكيد على الكيفية التي مثّلت بها رواية "تفصيل ثانوي" لعذبة شبلي حادثة عام ١٩٤٩ من خلال بناء اجتماعي وسياسي واقتصاديّ، بوصفه شكلاً من أشكال التاريخ المضادّ إزاء الكتابة التاريخية الرسمية. وقد نُظّمت هذه الخلاصة مع إبراز الترابط بين المعطيات النصّية والسياق التاريخي الذي جرى تحليله في ضوء منظور التاريخانية الجديدة (New Historicism)، بما يُظهر أنّ النصّ الأدبي لا يقوم كياناً مستقلاً بذاته، بل يتفاعل تفاعلاً دينامياً مع خطابات السلطة وممارسات التاريخ التي تُحيط به.

لفصل الرابع

عرض البيانات وتحليلها

في هذا الفصل، تُقدِّم الباحثة نتائج البحث المتعلّق برواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي، التي تُمثِّل الديناميات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في سياق حادثة عام ١٩٤٩. وتعتمد هذه الدراسة على مقارنة التاريخية الجديدة (New Historicism) التي طوّرها ستيفن غرينبلات (Stephen Greenblatt) بوصفها إطارًا نظريًا رئيسًا. وتتيح هذه المقاربة فهم النص الأدبي بوصفه جزءًا من ممارسة خطابية لا تنفصل عن الواقع التاريخي، بل تتفاعل معه تفاعلًا معقدًا في ضوء الشروط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي شكّلت خلفيته. ويركّز هذا البحث على كيفية تمثيل الأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، سواء في النص الأدبي أم في المصادر التاريخية، وعلى الكيفية التي تتداخل بها هذه الأبعاد وتتفاوض، بل وتتعارض أحيانًا، في تشكيل الدلالة. وبذلك، لا يقتصر هذا البحث على الكشف عن المضامين السردية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى تتبّع كيفية انعكاس بني السلطة، والعلاقات الاجتماعية، والأوضاع الاقتصادية، وإعادة تشكيلها داخل النص.

انسجامًا مع ذلك، يطبّق هذا البحث منهج القراءة الموازية بين النص الأدبي، وهو رواية "تفصيل ثانوي"، والنص غير الأدبي المتمثّل في الوثائق التاريخية المرتبطة بحادثة عام ١٩٤٩. ومن خلال هذه القراءة، تسعى الباحثة إلى تحديد نقاط الالتقاء والاختلاف، وكذلك مواطن التوتر بين التمثيل الأدبي والسردية التاريخية الرسمية. وتكتسب هذه الخطوة أهميتها من كونها تُبرز كيف يمكن للعمل الأدبي أن يؤدّي وظيفة التاريخ البديل، أي بوصفه محاولة لإعادة بناء الواقع التاريخي من منظور مغاير، ولا سيما في إبراز الأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي غالبًا ما تُهمَّش في الكتابات التاريخية الرسمية.

أ. تمثيل التاريخ الاجتماعي لحادثة عام ١٩٤٩ في الرواية "تفصيل ثانوي" لأدنية الشبلي

١. الهجرة اليهودية الأوروبية إلى فلسطين

بعد أحداث الشغب عام ١٩٢٩، شهدت العلاقات بين المجتمعين العربي واليهودي في فلسطين حالة من الاستقطاب المتزايد، سواء على الصعيد الاجتماعي أم السياسي. ووجدت الحكومة البريطانية، بوصفها سلطة الانتداب، نفسها في وضع معقد وإشكالي؛ إذ كان عليها من جهة الحفاظ على الاستقرار الاستعماري، ومن جهة أخرى الالتزام بتنفيذ وعد بلفور الذي نصّ على إقامة وطن قومي لليهود. وفي ظلّ هذه الظروف، ازداد نشاط الحركة الصهيونية قوّة من خلال العمل على بناء البنى التحتية الاجتماعية والاقتصادية وتوسيعها، بوصفها قاعدة أساسية نحو إقامة الدولة التي طالما سعت إلى تحقيقها (Smith, ٢٠١٧: ١٢٧).

مع مطلع عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، يمكن النظر إلى هذه التطوّرات بوصفها مرحلة تقدّم ملحوظٍ للحركة الصهيونية، وفي الوقت ذاته فترة تراجعٍ بالنسبة إلى المجتمع العربي. وقد بدأت ملامح عدم التوازن تظهر بوضوح في البنية الاقتصادية التي تشكّلت خلال فترة الانتداب البريطاني، حيث مالت السياسات الاستعمارية إلى تفضيل المجتمع اليهودي. وأدّى ذلك إلى تقييد فرص وصول العرب إلى سوق العمل، ولا سيّما في بعض القطاعات الحيوية. وفي بعض الحالات، نشأ نوعٌ من التعاون بين السلطات البريطانية والمؤسسات اليهودية، أتاح تشغيل العمّال العرب ضمن منظومة ظلّت خاضعةً لهيمنة البنية الاقتصادية الصهيونية. وقد أسهم هذا الوضع في تكريس موقعٍ تبعيٍّ للمجتمع العربي على المستوى الاقتصادي، الأمر الذي دفع عددًا كبيرًا من أفرادهِ إلى العمل ضمن إطارٍ تهيمن عليه المؤسسات الصهيونية. كما أدّت الأزمة الاقتصادية المتفاقمة إلى دفع بعض فئات المجتمع العربي، بما في ذلك النخب، إلى بيع أراضيها لليهود، وهو ما أسهم في تسريع وتيرة انتقال ملكية الأراضي في فلسطين (٢٠١٧: ١٣٠).

(Smith, ١٩٣٢). وفي عام ١٩٣٢، شهدت الهجرة اليهودية ارتفاعاً ملحوظاً، إذ تضاعف عدد المهاجرين تقريباً مقارنةً بالعام السابق، مما مثّل بداية موجة עליاه الخامسة على نحو أكثر كثافة. وقد أسهم هذا التدفق البشري في تعزيز مكانة المجتمع اليهودي في فلسطين، ديمغرافياً واقتصادياً وسياسياً. كما لعبت عوامل خارجية، مثل صعود النظام النازي في ألمانيا، دوراً مهماً في تسريع وتيرة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، حيث بلغ عدد المهاجرين نحو ثلاثين ألفاً في عام ١٩٣٣، وهو أعلى رقم سُجِّل آنذاك. وقد أثار هذا الارتفاع الحاد ردود فعل قوية من قبل المجتمع العربي، الذي رأى في تزايد عدد السكان اليهود تهديداً مباشراً لوجوده.

استقرّ المهاجرون اليهود في الغالب في المدن التي شهدت نمواً متسارعاً مثل تل أبيب ويافا. ففي منطقة تل أبيب-يافا ارتفع عدد السكان اليهود من نحو ٤٦,٠٠٠ نسمة عام ١٩٣١ إلى ١٣٥,٠٠٠ نسمة عام ١٩٣٥، في حين ارتفع في حيفا من ١٦,٠٠٠ إلى ٤٠,٠٠٠ نسمة خلال الفترة نفسها. وإلى جانب هذا النمو الديمغرافي، شهد القطاع الصناعي توسعاً ملحوظاً، ولا سيّما نتيجة تدفق رؤوس الأموال من اليهود الألمان. فقد ازداد عدد المنشآت الصناعية التي تديرها المؤسسات الصهيونية بشكل كبير، من نحو ٦,٠٠٠ منشأة عام ١٩٣٠ إلى ١٤,٠٠٠ منشأة عام ١٩٣٧. وقد أُديرَت هذه التطوّرات برمتها بصورةٍ شبه مستقلةٍ من قبل المجتمع الصهيوني، الأمر الذي أسهم في تعزيز موقعه في مختلف مجالات الحياة في فلسطين، بل ومكّنه في بعض الأحيان من رفض مطالب الجانب العربي أو تجاهلها (Smith, ٢٠١٧: ١٢٨-١٢٩).

في سياق الثورة العربية في أواخر ثلاثينيات القرن العشرين، استغلّت الحركة الصهيونية تلك الأوضاع بوصفها وسيلةً دعائيةً لتشكيل صورةٍ سياسيةٍ معيّنة. فقد جرى توظيف هذه الثورة لتصوير المجتمع العربي بوصفه جماعةً غير عقلانية، وغير متسامحة، ومعارضةً لعمليات التحديث. وفي المقابل، صُوِّر المجتمع اليهودي في فلسطين، أو ما

يُعرف بالييشوف، على أنه جماعة بناة وتقدمية، قادرة على تحقيق التطور في مجالات متعددة، مثل الاقتصاد والبنية التحتية والتعليم، فضلاً عن تحسين مستويات المعيشة مقارنةً بالمجتمع العربي في ظل الانتداب البريطاني. وقد أسهم هذا البناء الخطابي في تعزيز الشرعية الأخلاقية والسياسية للحركة الصهيونية على الصعيد الدولي. وفي نهاية المطاف، ومع اقتراب نهاية عقد الثلاثينيات، ازداد ضعف المجتمع العربي الفلسطيني، في حين تطور الييشوف ليغدو مجتمعاً أكبر حجماً، وأكثر ازدهاراً من الناحية الاقتصادية، وأكثر تنظيماً، فضلاً عن امتلاكه قوةً عسكريةً متنامية (Khalidi, ٢٠٠٧: ١٢٢).



(خريطة فلسطين - المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٤٨)

إن فكرة إقامة دولة يهودية لا تقتصر على الرموز السيادية أو مجرد الاعتراف السياسي، بل تنطوي على أبعادٍ أيديولوجية وبرagamتية أوسع. ففي المؤتمر السنوي للاتحاد

الصهيوني البريطاني عام ١٩٤٤، أكّد أنّ الهدف الرئيس من إنشاء الدولة يتمثّل في تحقيق أكبر قدرٍ من المنفعة لأكبر عددٍ ممكن من اليهود، كما يتجلّى في قوله: «نحن نطالب بدولة لأننا نؤمن بأننا من خلالها سَنتمكّن من تحقيق أقصى منفعة لأكبر عددٍ ممكن من الناس (Laqueur, ١٩٧٢: ٥٤٤). ويُظهر هذا التصريح أنّ الدولة تُفهم بوصفها أداةً استراتيجيةً لتحقيق الرفاه الجماعي، لا مجرد كيانٍ سياسيٍّ شكلي.

منذ اقتراح لجنة بيل لتقسيم فلسطين عام ١٩٣٧، أبدى بن غوريون في جوهره موقفًا منفتحًا إزاء هذه الفكرة، رغم أنّ الظروف السياسية آنذاك لم تكن مهيأةً لتنفيذها بصورةٍ عمليّة. وقد تمثّل تطوّر مهمّ آخر في مؤتمر بيلتمور الذي عُقد في نيويورك في مايو عام ١٩٤٢، والذي شكّل نقطة تحوّل بارزة في مسار النضال السياسي للحركة الصهيونية على المستوى الدولي. فلم يقتصر هذا المؤتمر على التعبير عن تزايد مخاوف بريطانيا من احتمال تصاعد التوتر مع الحركة الصهيونية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، بل عكس أيضًا تنامي دور الصهيونية الأمريكية ونفوذها، التي اتّسمت بمواقف أكثر حزمًا وتشددًا. وفي هذا الإطار، طُرِح للمرة الأولى مطلبٌ صريح من قبل الحركة الصهيونية بإقامة دولةٍ يهودية على كامل أرض فلسطين، كما ورد في نصّ القرار الذي أكّد أنّ «فلسطين يجب أن تُقام بوصفها كومنولثًا يهوديًا مندمجًا ضمن بنية النظام الديمقراطي العالمي الجديد (Smith, ٢٠١٧: ١٦٨). وعليه، يُمثّل مؤتمر بيلتمور تحوّلًا استراتيجيًا من الدبلوماسية التي كانت متمركزة حول بريطانيا إلى توجّه أكثر اعتمادًا على دعم الولايات المتحدة الأمريكية، فضلًا عن كونه يعزّز الهدف النهائي للحركة الصهيونية المتمثّل في إقامة دولةٍ يهودية ذات سيادة.

في ٨ مايو ١٩٤٥، استمرّت الحرب المسلّحة ضدّ ألمانيا النازية، إلى أن استسلمت ألمانيا استسلامًا غير مشروط، لتنتهي الحرب العالمية الثانية بعد ذلك بأربعة أشهر في ٢ سبتمبر. وقد خلّفت هذه الحرب نحو ستين مليون قتيل، أي ما يقارب ٣٪.

من سكان العالم عام ١٩٤٠، من بينهم ستة ملايين يهودي، أي ما يعادل ثلث الشعب اليهودي، قُتلوا في المحرقة. وبعد سنوات، استعاد بن غوريون التأثيرات الكارثية للمحرقة، مشيراً إلى أنه لو تمّ تنفيذ مشروع التقسيم كما اقترحتة لجنة بيل، لكان تاريخ شعبنا مختلفاً، ولما قُتل ستة ملايين يهودي في أوروبا، بل لكان معظمهم في إسرائيل. وفي ٢٦ يونيو ١٩٤٥، وخلال مؤتمر صحفي عُقد في نيويورك، صرّح بن غوريون بأنه في حال إصرار بريطانيا على الاستمرار في سياسة الكتاب الأبيض التي تقضي بتقييد الهجرة اليهودية، فإنّ منظمات الهاغاناه والإرغون وليحي ستّحد لتأسيس حركة تنوعات هَمري هَعفري (حركة المقاومة العبرية)، على أن يتولّى قيادتها بن غوريون. وقد وردت هذه الوقائع في الرواية "تفصيل ثانوي" لعديّة شبلي، التي تُبرز الديناميات الاجتماعية المرتبطة بهجرة اليهود الأوروبيين إلى فلسطين على النحو الآتي:

"وتركت هذه التجربة وبخاصة مقتل ثمانية من مؤسسيها الشباب الذين كان بعضهم من أسر نجا أعضاؤها من محرقة اليهود في أوروبا." (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ١٠٦).

تُظهر السردية في الرواية "تفصيل ثانوي" لعديّة شبلي، التي تُشير إلى مقتل ثمانية من الشبان المؤسّسين لمستوطنة نيريم، وكان بعضهم من الناجين من المحرقة في أوروبا، تمثيلاً للبعد الاجتماعي لهجرة اليهود الأوروبيين إلى فلسطين بوصفها تجربةً مشحونةً بالصدمة وبناءً هويةً جماعية. ولا تُفهم هذه الهجرة مجرد انتقالٍ جغرافي، بل بوصفها عمليةً نقلٍ لذاكرة العنف الماضي إلى حيّزٍ جديد، وهو ما أسهم في تشكيل ملامح مجتمعاتٍ مثل نيريم. كما يكشف مقتل هؤلاء الشبان كيف أنّ جيل المهاجرين الناجين من المأساة الأوروبية وُضع مرّةً أخرى في مواجهة واقع الصراع في فلسطين، الأمر الذي أوجد استمراريةً لتجربة العنف، وانعكس بدوره على البنية الاجتماعية وعلى أشكال التضامن الداخلي داخل المجتمع.

اتّفقت هذه الجماعات على التّوحد في مواجهة بريطانيا ضمن استراتيجيةٍ منسّقة. وقد وقع أحد أنجح الهجمات في ١٦-١٧ يونيو ١٩٤٦، حيث أدّت إحدى عشرة عمليةً منسّقة إلى تدمير الجسور وخطوط السكك الحديدية، مما أسهم في عزل فلسطين عن الدول المجاورة، وأعاق قدرة بريطانيا على نقل الإمدادات والقوّات عبر الحدود (Morris, ٢٠٠٨). وقد بلغت ذروة تصاعد المقاومة ضدّ السلطة البريطانية في فلسطين في ٢٢ يوليو ١٩٤٦، من خلال العملية التي نفّذتها منظمّة إرغون شبه العسكرية بقيادة مناحيم بيغن. فقد خطّطت هذه الجماعة ونفّذت هجومًا استهدف فندق الملك داود في القدس، الذي كان يُستخدم آنذاك مركزًا للإدارة التابعة لحكومة الانتداب البريطاني ومقرًا للأجهزة الاستخباراتية. ولم يكن هذا التفجير مجرّد هجومٍ رمزيٍّ على السلطة الاستعمارية، بل عكس أيضًا تحوّلًا في استراتيجية الحركة الصهيونية من النهج الدبلوماسي إلى أسلوبٍ عسكريٍّ أكثر مواجهةً وصدامية. وقد خلّف الانفجار آثارًا جسيمة، إذ بلغ عدد الضحايا ٩١ قتيلاً من البريطانيين والعرب واليهود، وهو ما يدلّ على أنّ العنف في هذا الصراع تجاوز الحدود الإثنية ليستهدف بنية السلطة على نحوٍ أوسع. كما يُبرز هذا الحدث تصاعد حدّة التوتر السياسي في فلسطين قبيل نهاية الانتداب البريطاني، ويُعدّ من المحطّات المهمّة في تطوّر ديناميّات الصراع وتعميداته (١٨٤: Smith, ٢٠١٧).

في ٦ أكتوبر ١٩٤٦، عملت الوكالة اليهودية بشكلٍ مكثّفٍ على إنشاء إحدى عشرة مستوطنة جديدة في شمال النقب خلال ليلةٍ واحدة. وقد وردت هذه الواقعة في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي، التي تُصوّر الديناميات الاجتماعية المرتبطة بهجرة اليهود الأوروبيين إلى فلسطين على النحو الآتي:

"وضع حجر الأساس لتأسيس نيريم في ليلة الغفران من العام ١٩٤٦،

ذلك إلى جانب عشر مستوطنات أخرى، حيث شرعت مجموعة من

أفراد حركة الشبيبة هشومير هتسعير، ومن الشباب الأوروبيين الذين

وصلوا إلى البلاد مع نهاية الحرب العالمية الثانية، بنائها في النقب. كان

الهدف من هذه الحملة وقتها توسيع رقعة الاستيطان اليهودي في منطقة

الجنوب". (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ١٠٤).

تُمثّل السردية الأولى في الرواية "تفصيل ثانوي" لعدنية شبلي، التي تشير إلى تأسيس مستوطنة نيريم عام ١٩٤٦، الديناميات الاجتماعية المرتبطة بعمليات الاستيطان والتحوّلات في البنية الديمغرافية في فلسطين قبيل قيام دولة إسرائيل. فقد جرى إنشاء هذه المستوطنة بصورة جماعية من قبل حركة هشومير هتسعير بالتعاون مع المهاجرين اليهود القادمين من أوروبا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وهو ما لا يعكس مجرد تعبئة اجتماعية لفئة معيّنة، بل يدلّ أيضاً على تحوّل منهجيّ في التركيبة السكانية في تلك المنطقة. وفي المقابل، واجه المجتمع الفلسطيني، بوصفه السكان الأصليين، تضييقاً تدريجياً في مجاله الحيوي نتيجةً لتوسّع هذه المستوطنات.

مع دخول شهر أبريل عام ١٩٤٧، طُرحت القضية الفلسطينية رسمياً على الساحة الدولية من خلال مناقشتها في الجمعية العامة للأمم المتحدة. وفي إطار السعي لإيجاد حلّ للصراع المتفاقم، شكّلت لجنة خاصة عُرفت باسم لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين (UNSCOP)، أُنيطت بها مهمة إعداد توصياتٍ لتسوية النزاع. وقد أفضت نتائج أعمال هذه اللجنة إلى بلورة مشروع التقسيم، أو ما يُعرف بخطة تقسيم الأمم المتحدة لعام ١٩٤٧، الذي مهّد الطريق نحو إعلان قيام الدولة اليهودية. وفي سياق النقاشات الدولية، لم يقتصر الدعم لفكرة التقسيم على أطرافٍ متوقّعة، بل امتدّ ليشمل قوى دولية أخرى، من بينها الاتحاد السوفيتي. ففي ١٥ مايو ١٩٤٧، أعلن مندوب الاتحاد السوفيتي، أندريه غروميكو، تأييده العلني لتطلّعات قطاعاتٍ واسعة من اليهود في إقامة وطنٍ لهم في فلسطين. وأشار في بيانه إلى المعاناة التي تكبّدها اليهود خلال الحرب العالمية الثانية، فضلاً عن الأوضاع الصعبة التي أعقبتها، معتبراً أنّ خيار التقسيم يُمثّل

الحلّ الأكثر واقعية لإنهاء الصراع المستمر. كما أكّد دعمه لفكرة الفصل بوصفها سبيلاً لتحقيق قدرٍ من الاستقرار السياسي في المنطقة (Laqueur, ١٩٧٢: ٥٧٨). وقد استمرّ هذا الدعم السوفيتي طوال عام ١٩٤٧، مما أسهم في تعزيز الموقع الدبلوماسي للحركة الصهيونية على الساحة الدولية، وسرّع في الوقت نفسه من وتيرة التحوّلات التي أفضت إلى قيام دولة إسرائيل.

٢. إعلان قيام دولة إسرائيل

بعد ستّة أشهر من تفجير فندق الملك داود في يوليو ١٩٤٦، أعلنت بريطانيا في ٢٢ يناير ١٩٤٧ تخليها عن مسؤولياتها في فلسطين، وأحالت مصير الإقليم ومسألة إقامة الدولة اليهودية إلى منظمة الأمم المتحدة. وفي هذا السياق، عقدت «لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين (UNSCOP) لقاءات سرّية مع أعضاء منظّمة الهاغاناه، وفي ١ سبتمبر ١٩٤٧ قدّمت اللجنة رسمياً مقترح تقسيم فلسطين إلى دولتين: يهودية وعربية، على أن تبقى القدس كياناً منفصلاً تحت إشرافٍ دولي. كانت لجنة بيل قد اقترحت سابقاً تخصيص ٢٠٪ من أراضي فلسطين الواقعة غرب نهر الأردن لليهود، مقابل ٨٠٪ للعرب. ومع ذلك، عُدّ مشروع (UNSCOP) خطوةً متقدّمةً مهمّة لصالح اليهود، في حين مثّل تراجعاً ملحوظاً بالنسبة إلى العرب (Gordis, ٢٠١٦).

شكّل هذا المقترح إحدى نقاط الانطلاق لتصاعد حدّة الصراع في المنطقة. فبعد إعلان خطة تقسيم فلسطين من قبل منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، واجهها المجتمع العربي برفضٍ شديد تحوّل لاحقاً إلى مقاومةٍ واسعة النطاق. وقد شاركت في هذه المواجهة عدّة من الدول العربية بصورة مباشرة، من بينها الأردن بقيادة الملك عبد الله. ومع اقتراب نهاية الانتداب البريطاني عام ١٩٤٨، اتّسع نطاق الصراع وخلف آثاراً عميقة على التحوّلات الديمغرافية والسياسية في المنطقة (بورعدة رمضان).

في تطوّره اللاحق، لم يعد الصراع مقتصرًا على المستوى المحلي، بل امتدّ ليشمل الأبعاد العالمية والعربية والإسلامية، بل وحتى الساحة الفلسطينية الداخلية نفسها. ولم تعد الاختلافات القائمة ذات طابعٍ سياسي فحسب، بل تجاوزت ذلك لتلامس أطرًا أيديولوجيةً أعمق. فعلى الصعيدين العربي والفلسطيني، تُبرز العديد من التحليلات إسرائيل بوصفها تمثيلًا لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، حيث تؤدي دور أداة استراتيجية لتفكيك المجال العربي، ولا سيّما من خلال عزل المشرق العربي عن المغرب، بما يعرقل إمكانات تحقيق الوحدة العربية. وتُنظر هذه الوحدة على أنّها قد تُفضي إلى توحيد قوى اقتصادية وديمقراطية وجغرافية وسياسية كبرى. وفي إطار الفكر الثوري العربي، تُفهم إسرائيل بوصفها كيانًا ذا طابعٍ إمبريالي يسعى إلى إضعاف الأنظمة العربية المناهضة للإمبريالية. أمّا في أوساط المثقفين العرب، فتُقدّم إسرائيل غالبًا باعتبارها دولةً قائمةً على استعمارٍ استيطاني وعنصريةٍ بنيوية، فضلًا عن كونها جزءًا من منظومة الرأسمالية العالمية. ويتقاطع هذا التصوّر مع رؤية التيارات الإسلامية، التي تنظر إلى إسرائيل بوصفها أداةً من أدوات الاستعمار، تُستخدم للحدّ من نهضة العالم الإسلامي وإعاقة إقامة أنظمة حكمٍ إسلامية في المنطقة (٢٠١٤، يوسف العاصي).

سعت الحركة الصهيونية، بمختلف تياراتها اليمينية واليسارية، إلى بناء مشروعٍ أيديولوجيٍّ يركّز على جملةٍ من الأهداف الرئيسة. أولًا، عملت على رفض ما يُعرف بمفهوم إلغاء المنفى (Hagula Beitol)، من خلال نفي واقع الشتات اليهودي في أنحاء العالم، والدعوة إلى تجميع الجماعات اليهودية الموزعة في إقليمٍ واحد، ولا سيّما في فلسطين التي تُسمّيها أرض إسرائيل. ثانيًا، هدفت هذه الحركة إلى إقامة دولةٍ يهودية في أرض فلسطين. ثالثًا، كان يُراد لتلك الدولة أن تكون ملاذًا آمنًا لجميع اليهود في مواجهة مختلف التهديدات التي يتعرّضون لها في بلدان متعددة (٢٠٢٢، محارب).

مع اندلاع الصراع في أواخر عام ١٩٤٧ وبدايات عام ١٩٤٨، بدأت تشكيلات الجهاد المقدس إلى جانب الخلايا التأسيسية الأولى في ممارسة أنشطة عسكرية ذات طابعٍ دفاعي في المراحل الأولى من المواجهات. وخلال هذه الفترة، سعى الريمائوي إلى تنسيق تعبئة المقاتلين من منطقة رام الله باتجاه القدس، فضلاً عن تنظيم توزيع الأسلحة المخصصة لقوات الجهاد المقدس عبر اللجنة العربية العليا واللجنة العسكرية العربية.

وبعد ذلك بوقتٍ قصير، عاد عبد القادر الحسيني إلى فلسطين بهدف تشكيل قوّة عسكرية شبه نظامية، تركزت في المنطقة الشرقية من القطاع الأوسط لفلسطين، والتي كانت تمثل محور اهتمام اللجنة العسكرية العليا العربية. وفي فبراير ١٩٤٨، جرى تعيينه رسميًا قائداً لهذه القوات، مع حسن سلامة نائباً له، حيث تولّى قيادة المنطقة الغربية من القطاع الأوسط. أمّا القادة الآخرون، فقد أُكلت إليهم مهمّة إدارة القطاعات والمدن في المناطق المتبقية وفقاً لتقسيمات القيادة العسكرية (Morris, ٢٠٠٨).

في ١٤ مايو ١٩٤٨، أنهت الحكومة البريطانية رسميًا انتدابها على فلسطين، مُعلنةً بذلك نهاية الحقبة الاستعمارية في تلك المنطقة. وفي اليوم نفسه، عقد القادة اليهود المنضوون ضمن مجلس الشعب اجتماعاً في متحف تل أبيب، وأقرّوا إعلان قيام دولةٍ جديدة، هي دولة إسرائيل. وقد وردت هذه الواقعة في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي، التي تُصوّر الديناميات الاجتماعية المرتبطة بإعلان قيام دولة إسرائيل على النحو الآتي:

"فبعد إعلان تأسيس دولة إسرائيل في ١٤ أيار من العام ١٩٤٨، كانت نيريم أول مستوطنة تهاجمها قوات الجيش المصري، حيث تعرضت لقصف عنيف من قبل مدفعيته، تم إثره تدمير جميع المباني فيها ومقتل ثمانية من مؤسسيها، بالإضافة إلى جرح عدة آخرين." (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ١٠٥).

تُبرز السردية في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي، التي تصف هجوم القوات المصرية على مستوطنة نيريم عقب إعلان قيام دولة إسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨ مباشرةً، تمثيلاً للأثر الاجتماعي المباشر لذلك الحدث السياسي في حياة المجتمعات على أرض الواقع. ويظهر هذا الهجوم، الذي أدى إلى تدمير جميع المباني ومقتل ثمانية من المستوطنين الأوائل، أنّ إعلان الدولة لم يتم في سياقٍ مستقر، بل أعقبه فوراً تصاعدٌ في أعمال العنف التي أثّرت في البنية الاجتماعية للمجتمع. كما تعكس الخسائر البشرية، والإصابات، ودمار المساكن هشاشة الحياة في مجتمعٍ حديث التشكّل، وتُبرز في الوقت نفسه كيف أسهم الصراع المسلّح في تشكيل التجربة الجماعية للسكان.

في تلك اللحظة، قام دافيد بن غوريون، بوصفه أحد أبرز قادة الحركة الصهيونية ورئيس الوكالة اليهودية، بتلاوة إعلان الاستقلال، داعياً اليهود في الشتات إلى العودة إلى ما يُعدّونه وطنهم التاريخي. كما أعلن أنّه منذ انتهاء الانتداب البريطاني وحتى قيام حكومةٍ دستوريةٍ شرعية، سيقوم مجلس الشعب بوظيفة مجلس الدولة المؤقت، في حين تتولّى الإدارة الشعبية مهامّ الحكومة المؤقتة للدولة الناشئة. وقد أكّد الإعلان أنّ دولة إسرائيل ستكون مفتوحةً أمام الهجرة اليهودية، وستشكّل موطنًا لعودة اليهود من المنفى. كما التزمت الدولة ببناء حياةٍ وطنية تقوم على مبادئ الحرية والعدالة والسلام، كما وردت في التراث النبوي. إضافةً إلى ذلك، نصّ الإعلان على ضمان المساواة في الحقوق الاجتماعية والسياسية لجميع السكان دون تمييزٍ على أساس الدين أو العرق أو الجنس، مع احترام حرية الدين واللغة والتعليم والثقافة. كما شمل الالتزام حماية الأماكن المقدسة لجميع الأديان، انسجامًا مع المبادئ التي أقرّها ميثاق الأمم المتحدة (العربي).

في ١٥ مايو ١٩٤٨، بدأت القوات المصرية دخول أراضي فلسطين في إطار التدخّل العسكري للدول العربية عقب إعلان قيام دولة إسرائيل. وقد قدّرت القوة المشاركة بنحو ٥,٠٠٠ إلى ٦,٠٠٠ جندي مقاتل، نُظّموا ضمن تشكيلٍ من لواء مشاة.

وتكوّنت بنية هذه القوات من ثلاثة كتائب مشاة، وكتيبة مدرّعة، إضافةً إلى فوجٍ من المدفعية الميدانية، وذلك رغم محدودية مستوى التدريب. وعلى صعيد الدعم الجوي، دفعت مصر بستّ طائراتٍ مقاتلة، وخمس طائرات نقل، وطائرة استطلاع واحدة. أمّا في القطاع البحري، فقد دُعمت العمليات بسفينةٍ كاسحةٍ للألغام تمركزت في منطقتي العريش وبورسعيد، إلى جانب خمس سفن إنزال قادرة على نقل ما يصل إلى سريّتين من المشاة، أو نحو ٢٥٠ طناً من الإمدادات اللوجستية (٧٤ : بكر). كما تعزّزت هذه القوات بوحداتٍ إضافية من السودان والمملكة العربية السعودية، في دلالةٍ على نمطٍ من التعاون العسكري بين الدول العربية في المراحل الأولى من الصراع. وقد جرت هذه العمليات تحت قيادة اللواء أحمد علي المواوي بك، الذي كان يشغل آنذاك منصب مدير سلاح المشاة في الجيش المصري، حيث اضطلع بدورٍ محوري في تنسيق الاستراتيجية العسكرية المصرية على الجبهة الجنوبية لفلسطين. وقد وردت هذه الوقائع في الرواية "تفصيل ثانوي" لعديّة شبلي، التي تُصوّر الديناميات الاجتماعية في مرحلة ما بعد إعلان قيام دولة إسرائيل على النحو الآتي:

"كانت قد سادت نيريم عمومًا أجواء اجتماعية وثقافية نشطة حتى عشية الحرب، مع أن أعضاءها باتوا على علم تام بأن الجيش المصري يحشد قواته قرب الحدود، وأنهم قد يتعرضون لهجوم كبير، وهو ما حدث بالفعل."
(الشبلي، ٢٠١٧، ص. ١٠٥).

تُبرز السردية في الرواية "تفصيل ثانوي" لعديّة شبلي، التي تصف الحياة الاجتماعية - الثقافية لسكان نيريم، والانتقال من حالةٍ من الاستقرار النسبي إلى حالةٍ من القلق عقب معرفتهم بتحركات القوات المصرية، تمثيلاً للديناميات الاجتماعية التي تعيش في ظلّ الصراعين السياسي والعسكري. ويكشف هذا الاستقرار في بدايات السرد عن وجود مجتمعٍ منظمٍ نسبيًا، قادرٍ على بناء أنماطٍ حياتية وروتين يومي في بيئةٍ لا تزال في طور التشكّل بعد الحرب. غير أنّ هذه الحالة تتّسم بالهشاشة، إذ يمكن أن تنهار في

أي لحظة بفعل عوامل خارجية خارجة عن سيطرة المجتمع المدني، ولا سيما ما يتصل بتحركات القوى العسكرية في المناطق الحدودية.

تكوّنت القوات المصرية التي شاركت في المراحل الأولى من الصراع في فلسطين عام ١٩٤٨ من تسع كتائب، وُضِع ثلاثٌ منها بشكلٍ استراتيجي في منطقة الحدود المصرية - الفلسطينية لتشكّل خطّ المواجهة الأوّل في العمليات العسكرية. وكانت الكتيبة السادسة، بقيادة محمد نجيب ورئيس أركانها جمال عبد الناصر، من أبرز الوحدات ضمن هذا التشكيل. كما ضمّت هذه القوات الكتيبة التاسعة تحت إشراف عبد الحكيم عامر، والكتيبة الأولى التي كان زكريا محيي الدين يشغل منصب رئيس أركانها. وقد خضعت هذه التشكيلات كلّها لقيادة اللواء أحمد علي المواوي، الذي تولّى مسؤولية إدارة العمليات العسكرية المصرية على الجبهة الجنوبية (٣٨٢ : العارف). ومع ذلك، لم تحقق المشاركة العسكرية المصرية في المواجهات الأولى في منطقة النقب خلال مايو ١٩٤٨ النتائج المرجوة. وقد وردت هذه الوقائع في الرواية "تفصيل ثانوي" لعديّة شبلي، التي تُصوّر الديناميات الاجتماعية في مرحلة ما بعد إعلان قيام دولة إسرائيل على النحو الآتي:

"بعد وقت من المسير فوقها، أبدأً بهبوط جبال القدس باتجاه مفترق بيت شيمين وفقما تشير الياغطات والذي قد يكون اسمه الأصلي بيت سوسين على اسم القرية القريبة التي تظهر في الخريطة من العام ١٩٤٨ ولم تعد موجودة." (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ٩٠).

تُبرز السردية في الرواية "تفصيل ثانوي" لعديّة شبلي، التي تشير إلى اختفاء قرية بيت سوسين ولم يبقَ منها سوى منزل واحد، تمثيلاً للأثر الاجتماعي المترتب على إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ في استمرارية المجتمعات المحلية الفلسطينية. ولا يقتصر اختفاء القرية من الخريطة على كونه تحوّلًا جغرافيًا فحسب، بل يعكس أيضًا انقطاع

الحياة الاجتماعية، وتفكك العلاقات المجتمعية، وتلاشي الهوية الجماعية للسكان الذين كانوا يقطنون تلك المنطقة. وفي هذا السياق، لا يُفهم إعلان الدولة بوصفه حدثاً سياسياً رسمياً فقط، بل بوصفه نقطة انطلاقٍ لتحولاتٍ اجتماعية عميقة، تجلّت في إفراغ المجال الحيوي للسكان ومحو آثارهم التاريخية. ويغدو بقاء منزلٍ واحد قائماً بمثابة رمزٍ لفترات الذاكرة التي ما زالت عالقة، ودليلاً على أنّ الوجود الاجتماعي لذلك المجتمع كان حقيقة قائمة، رغم محوه من المشهد المعاصر.

أدّى فشل القوات في تحقيق تقدّم ملحوظ في ميدان القتال إلى إجراء مراجعةٍ جدّية من قبل الحكومة المصرية لقيادة الجيش. وقد أفضت هذه الأوضاع إلى إعفاء اللواء أحمد علي المواوي من منصبه كقائدٍ للقوات، ليحلّ محله اللواء أحمد فؤاد صادق باشا. ويعكس هذا التغيير في القيادة دينامياتٍ داخلية في المؤسسة العسكرية المصرية، كما يدلّ على حجم الضغوط السياسية الرامية إلى تعزيز فاعلية العمليات العسكرية، ولا سيّما في مواجهة التحدّيات الاستراتيجية في منطقة النقب خلال المراحل الأولى من الحرب العربية - الإسرائيلية عام ١٩٤٨ (٣٨٢ : العارف).

فور عبور القوات المصرية الحدود باتجاه فلسطين في المرحلة الأولى من حرب عام ١٩٤٨، كانت إحدى أولى خطواتها العسكرية فرضَ حصارٍ على مستعمرة دانقور (نيريم)، التي عُدت موقعاً استراتيجياً في منطقة النقب. وقد نُفذت هذه العملية من قبل الكتيبة السادسة بقيادة محمد نجيب، وكان جمال عبد الناصر يشغل منصب رئيس الأركان فيها. غير أنّ ضيق الوقت وضعف الاستعداد حالاً دون امتلاك القوات المصرية معلوماتٍ كافية عن أوضاع هذه المستعمرة، سواء من حيث عدد السكان، أو طبيعة التحصينات، أو حجم التسليح المتوافر فيها. وفي ظلّ هذه الظروف المتسارعة، اضطرت القوات إلى الاعتماد على معلوماتٍ قدّمتها بعض البدو المحليين بوصفها مصدرًا للاستخبارات الميدانية. وبلاستناد إلى هذه المعطيات المحدودة، حاولت القوات المصرية

اختراق دفاعات المستعمرة عبر استهداف الأسلاك الشائكة المحيطة بها. إلا أنّها سرعان ما واجهت مقاومةً شديدة، نظرًا لكون المستعمرة قد أُعدّت مسبقًا كنقطة دفاعٍ متينة، ومزوّدة بنظام تحصيناتٍ متماسك. وقد اتّسمت المعركة بحدّةٍ كبيرة، وأسفرت عن خسائر ملحوظة في صفوف القوات المصرية، الأمر الذي اضطرّها في نهاية المطاف إلى الانسحاب باتجاه رفح (العارف: ٣٩٧). والمفارقة أنّه، على الرغم من عدم تحقيق العملية نجاحًا فعليًا على أرض المعركة، أعلنت إذاعة القاهرة في تلك الليلة أنّ تطهير دانقور قد تمّ بنجاح، وهو ما يعكس وجود بناءٍ خطابٍ دعائي يصوّر الحدث بوصفه انتصارًا، على خلاف الواقع العسكري الفعلي.

لم يؤدّ فشل الكتيبة السادسة في الاستيلاء على المستوطنة الصهيونية دانقور (نيريم) إلى إيقاف زخم العمليات العسكرية المصرية على الجبهة الجنوبية. وفي خطوةٍ لاحقة، تحرّكت الكتيبة التاسعة باتجاه غزة، حيث استقبلها السكان المحليون بحماس، إذ رأوا في وصول القوات المصرية دعمًا لنضال العرب في فلسطين. وفي الوقت ذاته، نفّذت القوّات الجوية المصرية غاراتٍ على منطقة تل أبيب، من خلال إلقاء القنابل في إطار عملياتٍ هجومية. غير أنّ إحدى هذه العمليات أسفرت عن إسقاط طائرةٍ مصرية بعد إصابة خزّان الوقود ببنيران الدفاعات الصهيونية. وقد أُسر الطيّار، وهو نجل رئيس سلاح الفرسان في الجيش المصري، ليُسجّل كأوّل مقاتلٍ عربي يقع في الأسر لدى القوات الصهيونية خلال هذا الصراع. وعقب السيطرة على غزة، لم تمكث الكتيبة التاسعة طويلاً في المنطقة، بل سلّمت مواقعها إلى الكتيبة السادسة بقيادة محمد نجيب وجمال عبد الناصر. ثم واصلت تقدّمها شمالاً نحو دير سنيد أو مستوطنة ياد مردخاي، الواقعة على بُعد نحو ١٠ كيلومترات جنوب عسقلان، وذلك في إطار استراتيجية تهدف إلى توسيع نطاق السيطرة والضغط على مواقع الدفاع الصهيونية (٣٩٧: العارف).

في المنطقة الأمامية لمستوطنة ياد مردخاي، اندلعت معركةٌ عنيفة بين قوات الكنايب المصرية والقوات الصهيونية، بدأت في ١٩ مايو واستمرت لمدة خمسة أيام. وقد تمكّنت القوات المصرية في نهاية المطاف من السيطرة على المنطقة، رغم تكبّدها عشرات القتلى. ويُعزى ارتفاع عدد الخسائر في صفوفها أساسًا إلى محدودية الدعم المدرّع، الأمر الذي جعل وحدات المشاة في الخطوط الأمامية عرضةً سهلةً لنيران العدو خلال النهار. وعقب هذه المعركة، واصلت الكتيبة التاسعة تقدّمها نحو أشدود، في حين تحرّكت الكتيبة الأولى باتجاه المجدل، وعراق سويدان، والفالوجة، وبيت جبرين. غير أنّ هذا التوسّع الميداني الواسع لم يُقابَل بتأمين كافٍ من حيث الغطاء المدرّع، ولا بتوافر منظومة دعمٍ واتصالاتٍ فعّالة، مما جعل مواقع القوات المصرية في وضعٍ هشٍّ؛ إذ بدت أكثر استعدادًا للهجوم، لكنها أقل قدرةً على تثبيت مواقعها والدفاع عنها (٣٨٦ : العارف).

٣. ظهور أحداث النكبة

تُعرف حرب عام ١٩٤٨ بعدّة تسميات تعكس اختلاف وجهات النظر بين الأطراف المختلفة؛ ففي العالم العربي تُسمّى حرب فلسطين الأولى، ويُطلق عليها الفلسطينيون النكبة، في حين يصفها الطرف اليهودي بحرب الاستقلال (Milhemet Ha'atzma'ut) أو حرب التحرير (HaShihzur Milhemet)، أو حرب التأسيس (Milhemet HaKomemiyut). وقد جرت هذه الحرب على مرحلتين رئيسيتين؛ تميّلت المرحلة الأولى في حربٍ أهلية بدأت في ٣٠ نوفمبر ١٩٤٧ واستمرت حتى ١٤ مايو ١٩٤٨، وكانت عبارةً عن صراعٍ بين المجتمعين اليهودي والعربي في فلسطين، بدعمٍ من متطوّعين من عددٍ من الدول العربية، واتّسمت هذه المرحلة بحرب العصابات وأعمال العنف المتبادلة. أمّا المرحلة الثانية، فتميّلت في حربٍ نظامية بدأت في ١٥ مايو ١٩٤٨، عندما دخلت جيوش الدول العربية، مثل سوريا ومصر وشرق الأردن والعراق، إلى الأراضي الفلسطينية

عقب إعلان قيام دولة إسرائيل، واستمرّت رسميًا حتى عام ١٩٤٩، رغم تراجع حدّة القتال منذ بدايات ذلك العام. وقد تمكّنت القوات الصهيونية من السيطرة على أكثر من ٧٨٪ من أراضي فلسطين التاريخية، وأدّى ذلك إلى تهجير ما لا يقلّ عن ٧٥٠,٠٠٠ فلسطيني من أراضيهم ومساكنهم (Mandhai, ٢٠٢٤). وفي سياق تطوّر الحرب الأهلية، يمكن تقسيمها إلى مرحلتين فرعيتين؛ حيث شهدت الفترة الممتدّة من أواخر نوفمبر ١٩٤٧ حتى مارس ١٩٤٨ تفوّقًا نسبيًا للطرف العربي، في حين كانت الهاغاناه في موقع الدفاع، مع استمرار الاشتباكات على نطاقٍ محدود، لكنّها كانت تتصاعد تدريجيًا (Morris, ٢٠٠٨).

في سياق تفسير المرحلة الأولى من الحرب، أي مرحلة الحرب الأهلية، تبرز ثلاثة عناصر أساسية ينبغي أخذها بعين الاعتبار. أولًا، إنّ معظم المعارك التي دارت بين نوفمبر ١٩٤٧ ومنتصف مايو ١٩٤٨ وقعت في المناطق المخصّصة لإقامة الدولة اليهودية، باستثناء القدس التي كانت خاضعةً لخطة إدارة دولية، وكذلك الممرّ المحيط بتل أبيب الذي كانت تقطنه غالبية عربية؛ وفي هذه المناطق، كان التفوّق العددي لصالح السكان اليهود. ثانيًا، اتّسم التوزيع السكاني لليهود والعرب في المناطق الغربية والشمالية من فلسطين بدرجةٍ عالية من التداخل، الأمر الذي زاد من احتمالات الاحتكاك المباشر بين المجتمعات. ثالثًا، جرت هذه الحرب الأهلية في ظلّ استمرار الانتداب البريطاني على فلسطين، حيث تركزت القوات البريطانية في مواقع متعدّدة. وفي الممارسة العملية، تدخلت هذه القوات مرارًا في مجريات القتال خلال الفترة الممتدّة من نوفمبر ١٩٤٧ حتى مارس ١٩٤٨، بل واستمرّ هذا التدخل بشكلٍ متقطّع في شهر أبريل، وهو ما أسهم في ارتفاع عدد الخسائر في صفوفها خلال الأشهر الأخيرة من الانتداب. فخلال عام ١٩٤٧، سجّل مقتل ستّين جنديًا بريطانيًا وإصابة ١٨٩ آخرين، في حين ارتفعت الأعداد في الفترة من ١ يناير إلى ١٤ مايو ١٩٤٨ إلى ١١٤ قتيلًا و٢٣٠ جريحًا. وحتى

منتصف مارس ١٩٤٨، كان التدخل العسكري البريطاني يميل نسبياً لصالح اليشوف، نظراً لأنّ الطرف العربي كان في المرحلة الأولى من الصراع أكثر ميلاً إلى الهجوم، بينما اتخذ الطرف اليهودي موقعاً دفاعياً. كما أنّ الوجود العسكري البريطاني، واستمرار سيادته على البلاد، حال دون عبور الجيوش العربية النظامية للحدود والتدخل المباشر في القتال قبل ١٥ مايو. أمّا التهديدات المتكررة التي أطلقها القادة العرب خلال هذه المرحلة، فقد ظلّت في معظمها مجرد تصريحات دون تنفيذ فعلي (Morris, ٢٠٠٨).

مع اقتراب نهاية عام ١٩٤٧، تمكّنت المصانع العسكرية التابعة لهاغاناه من إنتاج مجموعة متنوّعة من المعدّات الحربية، من بينها قذائف الهاون بعياري الثاني و الثلاثة إنش، وبنادق ستن الرشاشة الخفيفة، إضافةً إلى كميات كبيرة من القنابل والذخائر. وقد كان لهذا الإنتاج دورٌ بالغ الأهمية في دعم القدرات العسكرية. ففي الفترة الممتدة من أكتوبر ١٩٤٧ حتى ٣١ مايو ١٩٤٨، أنتجت هذه المنشآت السريّة نحو ١٥,٤٦٨ بندقية ستن، وأكثر من مئتي ألف قنبلة، ١٢٥ قذيفة هاون من عيار ٣ إنش مع ما يزيد على ١٣٠,٠٠٠ قذيفة، فضلاً عن قرابة أربعين مليون طلقة من عيار ٩ ملم. في المقابل، لم يكن لدى المجتمع العربي الفلسطيني تنظيمٌ عسكري يماثل الهاغاناه من حيث البنية والتنظيم. وخلال هذه الفترة القصيرة نسبياً، لم تتمكّن الحركة الوطنية الفلسطينية من إنشاء ميليشيا وطنية قوية، رغم وجود محاولاتٍ في هذا الاتجاه. وعلى الصعيد الرسمي، وُجدت خلال عامي ١٩٤٦-١٩٤٧ منطمتان شبابتان شبه عسكريتين، هما النجّادة و الفتوة، غير أنّ نشاطهما اقتصر في الغالب على الاستعراضات في الفضاء العام، مع مستوى تدريبٍ عسكري محدود للغاية، بل يكاد يكون منعدماً (Morris, ٢٠٠٨).

الحرب الأهلية التي شكّلت جزءاً من صراع عام ١٩٤٨، والتي انتهت بانحياز القوّة العسكرية للعرب الفلسطينيين وتفكّك البنية الاجتماعية لمجتمعهم، استمرّت في الفترة الممتدة من ٣٠ نوفمبر ١٩٤٧ حتى ١٤ مايو ١٩٤٨. وخلال هذه المرحلة،

اضطرتّ مئات الآلاف من السكان، في المدن والقرى على حدّ سواء، إلى النزوح أو أُجبروا على مغادرة مساكنهم. غير أنّ عملية تفكّك المجتمع العربي الفلسطيني كانت قد بدأت فعلياً قبل وقتٍ طويل من الهجوم الواسع الذي شنته الهاغاناه في مطلع أبريل ١٩٤٨. وقد وردت هذه الوقائع في الرواية "تفصيل ثانوي" لعديّة شبلي، التي تُصوّر الديناميات الاجتماعية المرتبطة بأحداث النكبة على النحو الآتي:

"وحالما حطت قدماه عند نهاية المنحدر، غادر نحوها مخترقاً أغصانها التي
سرعان ما انحسرت، كاشفة عن نفر من العرب الواقفين حول النبع بجمود.
وقد التقت عيناه بعيونهم التي انفتحت على آخرها، كما عيون الجمال التي
نقزت من مكانها فارة بضع خطوات ما إن دوى عواء الكلب عالياً. ثم
خرج صوت إطلاق رصاص كثيف." (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ٢٣).

تُبرز السردية في الرواية "تفصيل ثانوي" لعديّة شبلي، التي تصوّر لقاءً بين الجنود ومجموعةٍ من العرب بالقرب من منبع ماء، تمثيلاً للديناميات الاجتماعية المشحونة بالتوتر وعدم تكافؤ علاقات القوة في سياق الصراع. ويكشف تصويرُ تعابير الخوف الشديد، من خلال العيون المتسعة والأجساد الجامدة، عن هشاشة موقع المدنيين وعجزهم عن مواجهة القوة العسكرية الحاضرة. كما يوحي حضورُ منبع الماء، بوصفه فضاءً حيويًا للحياة، بتحوّله إلى موقعٍ للتهديد والعنف. ويظهر إطلاق النار الذي وقع فور حدوث التماس البصري أنّ التفاعل بين الطرفين لم يجرِ ضمن إطار التواصل أو التفاوض، بل خضع لمنطق الهيمنة والإقصاء.

شكّلت موجة النزوح المؤشّر الأوّل والأكثر وضوحاً على تدهور الحالة النفسية والاجتماعية للمجتمع الفلسطيني آنذاك (Morris, ٢٠٠٨). ففي ١٣ مايو، انسحبت القوات البريطانية من البلدة القديمة، وسارع مقاتلو الهاغاناه في الحّي اليهودي إلى احتلال عددٍ من المواقع التي أُخليت، موسّعين بذلك نطاق سيطرتهم. وفي اليوم نفسه، أشرفت الوكالة اليهودية على تسليم ثلاث مستوطنات كانت قد تعرّضت لهجماتٍ متواصلة ليلاً

ونهارًا. وبصورة عامة، غادر ما بين ٧٥,٠٠٠ إلى ١٠٠,٠٠٠ من العرب الفلسطينيين منازلهم أو أُجبروا على مغادرتها خلال المرحلة الأولى من الحرب الأهلية، في ما مثّل الموجة الأولى من النزوح الفلسطيني. وفي صباح يوم ١٤ مايو، بينما كان القادة في تل أبيب يستعدّون لإعلان قيام الدولة الجديدة، وصلت قافلة تابعة للصليب الأحمر إلى المنطقة، في حين كانت قوات الفيلق العربي قد تراجعت مئات الأمتار عن مواقعها السابقة. وفي ١٥ مايو، تكوّنت القوات المهاجمة من نحو عشرين ألف مقاتل، توزّعوا على النحو الآتي: حوالي ٥,٥٠٠ جندي مصري (ضمن مجموعتي لواء)، وما بين ٤,٥٠٠ إلى ٦,٥٠٠ من الفيلق العربي، ونحو ٢,٧٥٠ جنديًا سوريًا (لواء واحد)، إضافةً إلى حوالي ٢,٧٠٠ جندي عراقي (لواء مُعزّز) (Morris, ٢٠٠٨).

في ١٥ مايو ١٩٤٨، وبعد أن أنهت بريطانيا رسميًا انتدابها على فلسطين، اتّسع نطاق الصراع بشكلٍ ملحوظ. وفي الفترة نفسها، شنت منظمة الإرجون هجومًا على مدينة يافا، ما أدّى إلى فرار نحو ٧٠,٠٠٠ من السكان العرب. وقد اعتبرت الدول العربية أنّ الأرض التي أُقيمت عليها دولة إسرائيل هي أرضٌ إسلامية، انتزعت منهم قسرًا وبصورةٍ غير عادلة، بدعمٍ من بريطانيا. وعلى هذا الأساس، سعت القوات العربية مرارًا إلى تقويض الدولة اليهودية من خلال وسائل متعدّدة، تراوحت بين المواجهة العسكرية المباشرة ومحاولاتٍ أخرى أقلّ حدّة (Oktorino, ٢٠١٧).

في يومي ١٥-١٦ مايو، شنت قواتٌ عربية غير نظامية في البلدة القديمة هجومًا تمكّنت خلاله من السيطرة على معظم نقاط الدفاع، بما في ذلك الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية الواقعة على الحافة الغربية للمنطقة. غير أنّ حالة من الذعر بدأت تسود بين عرب القدس. وفي يومي ١٧-١٨ مايو، أضافت الهاغاناه حيّ أبو طور العربي ومحطّة قطار المدينة، الواقعة مباشرةً إلى الجنوب من البلدة القديمة، إلى نطاق سيطرتها، الأمر الذي أدّى إلى فرار أعدادٍ كبيرة من العرب نحو البلدة القديمة. وفي ٢٦ مايو ١٩٤٨،

شنت الهاغاناه هجوماً أسفر عن تهجير السكان من عددٍ من المناطق المأهولة بالعرب، بما في ذلك فئات من الطبقة المتوسطة (Oktorino, ٢٠١٧). وفي صباح يوم ٢٨ مايو، وصلت بعثة من الحاخامات إلى مقر قيادة الهاغاناه في أحد الملاجئ بالمنطقة، وأعلنت نيتها الاستسلام. وقد وافق القائد موشيه روزناك على الشروع في مفاوضات هدنة. وتمّ التوصل إلى هدنة قصيرة، عاد على إثرها وينغارتن إلى الحي اليهودي، حيث صوّت ممثلو السكان والمدافعون بأغلبية شبه إجماعية لصالح الاستسلام، في حين امتنع ممثل منظمة الإارغون (IZL) عن التصويت (Morris, ٢٠٠٨).

في أواخر شهر مارس من عام ١٩٤٨، كانت العديد من العائلات من الطبقة الغنية والطبقة المتوسطة قد غادرت مناطق مثل يافا وحيفا والقدس، كما بدأت المجتمعات العربية الريفية في المناطق الساحلية ذات الأغلبية السكانية اليهودية بالنزوح أيضاً، بما في ذلك أجزاء من منطقة وادي الأردن الشمالية. وقد دُفع معظم هؤلاء إلى المغادرة بسبب الخوف من الوقوع وسط الصراع المسلح أو احتمال العيش تحت حكم اليهود. كما اعتبر العديد منهم أن هذا الانتقال مؤقت، على أمل العودة قريباً بعد تحسن الأوضاع، وذلك تزامناً مع توقعات بانتصار القوات العربية أو تدخل دولي (Morris, ٢٠٠٨).

أدت موجة العنف هذه إلى إجبار أعداد كبيرة من الشعب الفلسطيني على مغادرة وطنهم، سواء عبر اللجوء إلى الدول المجاورة مثل الأردن وسوريا ومصر، أو من خلال البحث عن مأوى في مراكز إيواء مؤقتة. وقد تفاقم هذه الأوضاع نتيجة مصادرة ما يقارب ٩٤٪ من الممتلكات التي تركها اللاجئون الفلسطينيون. وإضافة إلى ذلك، أسهمت حالة الانقسام داخل المجتمع العربي وضعف القيادة في زيادة تفاقم الوضع، مما أضعف قدرتهم على مواجهة الضغوط وأعمال العنف التي حدثت (٢٠٢٤ Roslan, العدوان العسكري الإسرائيلي وبناء المستوطنات اليهودية في صحراء النقب

في ١١ يونيو ١٩٤٨، وبالتزامن مع بدء الهدنة المؤقتة الأولى، كانت مواقع الجيش المصري في فلسطين قد وصلت إلى عدد من القطاعات المهمة، بما في ذلك أشدود ومنتزيم. وفي هذه المناطق تركزت اللواء المشاة الثاني الذي يتكوّن من الكتائب الرابعة والخامسة والسادسة، مدعوماً بعناصر من الفوجين الأول والثالث وبالمدفعية الميدانية. وفي الوقت نفسه، تم نشر اللواء المشاة الرابع في قطاع المجدل، إلى جانب سرايا من الكتيبة الاحتياطية الثامنة، وأربع سرايا من المتطوعين السودانيين، وسريتين من القوات السعودية، فضلاً عن أجزاء من الفوجين الأول والثالث. كما شمل انتشار القوات المحاور الاستراتيجية في عراق سويدان والفالوجة وعراق المنشية وصولاً إلى منطقة غزة. وقد استمرت هذه الهدنة لمدة تقارب أربعة أسابيع، وخلال هذه الفترة لم تحصل القوات المصرية التي كانت متمركزة في تلك المناطق على أي تعزيزات أو إمدادات جديدة من السلاح والمعدات. في المقابل، حصلت القوات الصهيونية على دعم دولي كبير، سواء من حيث التسليح أو الإمداد اللوجستي. وقد أدى هذا الاختلال إلى تغيير في ميزان القوى على الأرض. وعلى الرغم من أن الطرفين كانا ملتزمين رسمياً باتفاق الهدنة، فإن القوات الصهيونية واصلت في الواقع خرق الاتفاق من خلال تعزيز مواقعها العسكرية، وإعادة تموضع قواتها، ورفع جاهزيتها القتالية، كما تمكنت من استعادة السيطرة على عدد من المناطق في النقب وأجزاء من شرق الفالوجة. ومع اقتراب نهاية فترة الهدنة، تركزت ثلاث ألوية إسرائيلية، وهي لواء جفعاتي، ولواء هارئيل، ولواء النقب، في الجبهة الجنوبية لمواجهة القوات المصرية (١٦٨-١٦٩ : حمدان).

لاحقاً، تم توقيع عدة اتفاقيات لوقف إطلاق النار من جديد، وكان آخرها في ديسمبر ١٩٤٨. وفي هذا السياق، شنّ الجانب الصهيوني عملية حوريب عملية حوريب بهدف السيطرة على كامل المناطق التي كانت لا تزال تحت سيطرة القوات المصرية. وقد حققت هذه العملية في بدايتها نجاحاً ملحوظاً، حيث تمكنت القوات الصهيونية من

التقدم حتى رفح والعريش وخان يونس. وعلى الرغم من أن القوات المصرية نجحت مؤقتاً في طردها من محيط مطار العريش، فإن الهجمات اللاحقة جعلت القوات المصرية مهددة بالتطويق. وكان الهدف الأساسي من هذه العملية هو عزل القوات المصرية في قطاع غزة تمهيداً لتدميرها. غير أن التدخل البريطاني، الذي هدد بالمواجهة استناداً إلى اتفاقية عام ١٩٣٦، إضافة إلى الضغط الذي مارسه الولايات المتحدة الأمريكية التي قدمت قرضاً للحكومة المؤقتة الإسرائيلية بشرط سحب القوات، قد أثر في نهاية المطاف على مسار العملية (١٧٠ : حمدان).

كان مجتمع البدو في منطقة النقب يعيش في الأصل نمط حياة بدوياً رحلاً، وهو ما يُعد سمة عامة للمجتمعات البدوية في منطقة الشرق الأوسط. إلا أن هذا النمط من الحياة بدأ يشهد تحولات تدريجية منذ فترة الدولة العثمانية، في حين تسارعت عملية الاستقرار التوطين بشكل ملحوظ بعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨. وفي سياق حرب العرب وإسرائيل، أصبح وضع بدو النقب شديد الهشاشة، نظراً لوقوعهم بين قوتين عسكريتين متواجهتين، هما القوات الإسرائيلية والقوات المصرية. وقد دفعت هذه الظروف الصراعية غالبية السكان إلى النزوح نحو مناطق متعددة، مثل مصر والأردن وقطاع غزة والضفة الغربية. ونتيجة لذلك، شهد عدد سكان بدو النقب انخفاضاً حاداً، إذ تراجع من نحو ٦٠,٠٠٠ نسمة قبل الحرب إلى حوالي ١٦,٠٠٠ نسمة بعد انتهائها. ومن أصل ٩٥ مجموعة قبلية كانت تقطن المنطقة، لم يتبق سوى ١٩ قبيلة فقط في نهاية الحرب (Marx, ٢٠٠٠).

كما شهدت مسألة ملكية الأراضي تغييرات كبيرة أيضاً من خلال سياسة دولة إسرائيل المنظمة بموجب قانون الاستحواذ على الأراضي (Land Acquisition Law) لعام ١٩٥٠. وقد أُشير إلى هذا الحدث في الرواية "تفصيل ثانوي" لعديّة شبلي التي تُصوّر

الديناميات الاجتماعية خلال العدوان العسكري الإسرائيلي، وكذلك عملية إنشاء المستوطنات اليهودية في صحراء النقب، وذلك على النحو الآتي:

"حين وصلوا هنا، عثروا على سقيفتين وبقايا جدار سقيفة نصف مهذمة.

هي كل ما نجا من المكان بعد القصف العنيف الذي تعرّض له في بداية

الحرب." (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ٢).

إن السرد في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي الذي يصوّر الحالة الأولى للمكان، حيث لم يتبقّ سوى كوخين خشبيين وبعض بقايا جدران مهذمة، يُمثّل ديناميات اجتماعية نشأت عن الدمار الناتج عن الصراع المسلح. وتُعدّ هذه البقايا العمرانية علامة مادية على أعمال العنف التي وقعت سابقاً، كما تكشف عن تحوّل الفضاء المعيشي للسكان إلى مشهد تهيمن عليه مظاهر الفقر والفقر والخراب. ولا يقتصر هذا التصوير على تقديم الحالة الفيزيائية لما بعد الحرب، بل يُشير أيضاً إلى غياب الحياة الاجتماعية التي كانت قائمة في المكان في السابق. إن حضور الانقراض بوصفها الدليل الوحيد على الماضي يعكس عملية محو آثار المجتمع، حيث يتحوّل الفضاء الذي كان مأهولاً بالسكان إلى منطقة فارغة قابلة للاستيلاء عليها والسيطرة من قبل قوة جديدة.

منح هذا القانون صلاحيات للحكومة، ولا سيّما لوزير المالية، من أجل الاستيلاء على الأراضي المملوكة ملكية خاصة بحجة الاحتياجات العاجلة للدولة. وفي التطبيق العملي، تمت مصادرة ما يقارب ١,٢ إلى ١,٣ مليون دونم من الأراضي في منطقة النقب من مجتمع البدو. وقد استندت عملية المصادرة هذه إلى عدة بنود، من بينها أن الأرض لم يكن قد تم استخدامها من قبل مالكيها في ١ أبريل ١٩٥٢، وأنها حُصّصت لمصالح الدولة مثل الأمن أو إقامة المستوطنات خلال الفترة الممتدة من ١٤ مايو ١٩٤٨ إلى ١ مايو ١٩٥٢، إضافة إلى اعتبارها ضرورية لتلبية تلك الاحتياجات العاجلة (Falah, ١٩٨٩: ٧٩).

في التطورات اللاحقة، أصبحت معظم مناطق النقب تحت سيطرة حكومة إسرائيل من خلال إدارة أراضي إسرائيل. وقد أُشير إلى هذا الحدث في الرواية "تفصيل ثانوي" لعُدنية شبلي التي تصوّر الديناميات الاجتماعية خلال العدوان العسكري الإسرائيلي، وكذلك عملية إنشاء المستوطنات اليهودية في صحراء النقب، وذلك على النحو الآتي:

"الإشارة الوحيدة على وجود حياة ما في المحيط كانت أصوات عواء متباعدة وجلبة الجنود المنهمكين في تجهيز المعسكر، والتي تهادت إلى مسمعه." (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ١).

إن السرد في الرواية "تفصيل ثانوي" لعُدنية شبلي الذي يصوّر أجواء صحراء النقب من خلال صوت عواء الكلاب في البعيد وضجيج الجنود أثناء إقامة المعسكر، يُمثّل ديناميات اجتماعية تعيش حالة انتقال نحو فضاء مُعسكر عسكري الفضاء. إن حضور الأصوات الطبيعية المحدودة، مقترناً بأنشطة الجنود، يدلّ على تحوّل المشهد الاجتماعي من فضاء معيشة يتّسم بالهدوء النسبي إلى منطقة تخضع لهيمنة المصالح العسكرية. ولا يقتصر هذا الوضع على إبراز العزلة الجغرافية للصحراء فحسب، بل يعكس أيضاً بدايات تشكّل أنماط من السيطرة الاجتماعية التي تُفرض عبر وجود المؤسسة العسكرية.

تم لاحقاً تحويل تلك الأراضي، ولا سيّما لصالح إقامة المستوطنات اليهودية في الجزء الغربي من النقب. في المقابل، لم يُمنح مجتمع البدو سوى إمكانية محدودة للوصول إلى نحو ٤٠٠,٠٠٠ دونم من الأراضي الأكثر خصوبة نسبياً، والتي تقع في المنطقة الشمالية الشرقية من النقب (Syag) وكان استخدامها موسميّاً وليس على مدار السنة. وقد أدت هذه السياسات إلى تأثيرات كبيرة على التحوّل في نمط حياة المجتمع البدوي، حيث انتقل تدريجياً من حياة الترحال البدوية المتنقلة إلى شبه الترحال، ثم إلى الاستقرار الدائم.

وفي جوهرها، هدفت هذه السياسة إلى نقل ملكية الأراضي من مجتمع البدو إلى الدولة، وهو ما أثار أشكالاً متعددة من المقاومة من قبل السكان الأصليين للنقب في سبيل الحفاظ على حقوقهم في الأرض (Khairunnisa, ٢٠٢٣). وقد أُشير إلى هذا الحدث في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي التي تصوّر الديناميات الاجتماعية خلال العدوان العسكري الإسرائيلي، وكذلك عملية إنشاء المستوطنات اليهودية في صحراء النقب، وذلك على النحو الآتي:

"انطلقوا غرباً، شاقين طريقهم بين التلال الشاحبة الصفرة المتزامية في كل صوب. فيما راحت تتبعهم سحب كثيفة من الرمل، التي انبثقت من تحت إطارات المركبة واندفعت عالياً، حاجبة المشهد خلفهم كلية." (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ٤).

إن السرد في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي الذي يصوّر تحرّك القوات باتجاه الغرب، واقتربها من الحدود الإسرائيلية - المصرية في سيناء عبر امتداد كثبان رملية واسعة، يُمثّل ديناميات سياسية مرتبطة بالسيطرة الإقليمية والتوسع العسكري في منطقة صحراء النقب. إن هذا المسار، الذي تتسم آثاره بوجود آثار المركبات التي تُغيّر ملامح الرمال، يُظهر كيف أن الفضاء الجغرافي الذي يبدو طبيعياً وخالياً يتحوّل إلى ساحة استراتيجية للعمليات العسكرية وتثبيت الحدود الوطنية. كما أن وجود المركبات العسكرية التي تعبر هذه المنطقة يعكس مساعي عملية لبناء السيطرة على المناطق الحدودية، ويُبرز في الوقت ذاته عملية تجسيد السلطة من خلال حركة القوات وانتشارها الميداني.

من الناحية التاريخية، تعود جذور النزاع حول ملكية الأراضي بين إسرائيل ومجتمع بدو النقب إلى صدور قانون الطابو العثماني (Turkish Tabu Law) عام ١٨٥٨ خلال فترة الدولة العثمانية. وقد أوجب هذا القانون على كل مالك للأرض تسجيل ممتلكاته العقارية ودفع الضرائب للسلطات المختصة. وعلى الرغم من أن مجتمع البدو كان قد استوطن واستغل تلك المناطق لقرون طويلة، فإنه لم يكن يمتلك وثائق رسمية معترفاً بها

قانونياً. ونتيجة لذلك، ومع بدء اعتماد النظام الإداري الحديث الذي يشترط وجود أدلة مكتوبة مثل سندات الملكية أو سجلات الضرائب، لم يكن من الممكن إثبات دعاوى ملكيتهم بشكل قانوني (Goering, ١٩٧٩:٦). وفي العام نفسه، نصّت اللوائح العثمانية أيضاً على أن الأرض التي تُستغل بشكل مستمر لمدة عشر سنوات وتقع ضمن دائرة نصف قطرها ٢,٥ كيلومتر من التجمعات السكنية يمكن اعتبارها ملكاً خاصاً للمزارع الذي يقوم باستغلالها (David, ١٩٩٣). وكان هذا الشرط في الأساس مناسباً لمجتمع بدو النقب، لأن جزءاً من الأراضي التي كانوا يقطنونها يندرج ضمن فئة الأراضي الموات، وهي أراضٍ تخضع قانونياً لسيطرة الدولة. ومع ذلك، لم يعترف المجتمع البدوي بتلك السلطة القانونية، وكان يميل إلى تجاهل إجراءات تسجيل الأراضي، مما أدى إلى عدم استفادتهم من الفرصة للحصول على اعتراف قانوني بملكية أراضيهم (David, ١٩٩٦).

في عام ١٩٥٩، سُجِّل الاستيلاء على نحو ٦٢,٥٠٠ هكتار من أراضي البدو، وذلك لأغراض متعددة، من بينها إنشاء مرافق عسكرية مثل المطارات المرتبطة بالمصالح الاستراتيجية للدولة. واستمر النزاع حول ملكية الأراضي، حيث أُفيد في عام ١٩٧٢ بأن نحو ١٨٧,٥٠٠ هكتار من الأراضي كانت لا تزال في حالة نزاع بين مجتمع البدو والحكومة الإسرائيلية. كما فُرضت قيود صارمة على حركة المجتمع البدوي من خلال نظام تصاريح إداري مُشدّد، إذ كانت طلبات الخروج والدخول إلى المنطقة نادراً ما تحظى بموافقة السلطات العسكرية. ومع تزايد الهجرة اليهودية وتوسّع مشاريع البنية التحتية في منطقة النقب، ازداد الضغط على الأراضي بشكل ملحوظ. وشملت هذه المشاريع إنشاء المدن والمستوطنات، والمرافق الصناعية، ومصانع الأسلحة، والمفاعلات النووية، والمطارات العسكرية، إضافة إلى مواقع التخلص من النفايات الكيميائية، مما أدى إلى الاستيلاء على أجزاء واسعة من الأراضي. وقد أسهمت هذه الظروف في إجبار المجتمع البدوي

على التكيّف مع مساحات متناقصة من الأراضي، الأمر الذي أدى إلى تضيق مستمر في نطاق فضائهم المعيشي (Marx, ٢٠٠٠).

ب. ديناميات السّلطة والمصالح السياسيّة المحيطةُ بحادثة عام ١٩٤٩ في الرواية "تفصيل ثانوي" لأدنية الشبلي

١. سيطرة إسرائيل على البدو في النقب

بدأت الهدنة الأولى في حرب العرب وإسرائيل عام ١٩٤٨ في ١١ يونيو، وذلك بعد عملية دبلوماسية مكثفة استمرت لعدة أسابيع، قادها فولكه برنادوت بصفته وسيطاً خاصاً للأمم المتحدة. وقبل ذلك، في ١٤ مايو، كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد وافقت على تعيين وسيط تكون مهمته ضمان أمن الأماكن المقدسة، وحماية رفاه السكان، والعمل على التوصل إلى تسوية سلمية لمستقبل فلسطين. وخلال الأشهر الأربعة اللاحقة، ركّزت جهود برنادوت على إجراء مفاوضات بين الجانب الإسرائيلي والدول العربية. وفي ٢٢ مايو، دعا مجلس الأمن الدولي إلى وقف القتال خلال مدة لا تتجاوز ٤٨ ساعة، غير أنه لم يُشر صراحةً إلى الدول العربية بوصفها الطرف المعتدي، وذلك نتيجة لضغوط سياسية، من بينها التهديد باستخدام حق النقض الفيتو من قبل بريطانيا. وقد سارعت إسرائيل إلى قبول هذا المقترح، في حين رفضه الجانب العربي، نظراً لاستمراره في التعويل على تحقيق نصر عسكري أو على الأقل توسيع نطاق سيطرته الإقليمية. وعندما دخلت الهدنة حيّز التنفيذ، قدّر عدد من المراقبين العسكريين البريطانيين أن هذه الفترة ستُستغل بطرق مختلفة من قبل الطرفين. فقد استخدمها الجانب الإسرائيلي لإعادة تنظيم قواته العسكرية، وتعزيز برامج التدريب، وإعادة تسليح وحداته. في المقابل، اعتُبر أن الجانب العربي لم يتمكن من استثمار هذه المرحلة على نحو فعّال، بل

شهد انقسامات داخلية تتعلق بالاستراتيجيات والمصالح الإقليمية. وقد أدت هذه المعطيات إلى حدوث تحوّل في ميزان القوى على الأرض، حيث انتقلت المبادرة العسكرية تدريجياً إلى الجانب الإسرائيلي خلال فترة التهدة تلك (Morris, ٢٠٠٨).

انتهت حرب عام ١٩٤٨ رسمياً من خلال سلسلة من اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل والدول العربية المعنية. فقد وُقِّعت الاتفاقية مع مصر في ٢٤ فبراير ١٩٤٩، تلتها لبنان في ٢٣ مارس ١٩٤٩، ثم الأردن في ٣ أبريل ١٩٤٩، وأخيراً سوريا في ٢٠ يوليو ١٩٤٩، في حين اختار العراق عدم المشاركة في هذه المفاوضات. وعقب ذلك، بدأت الحكومة الإسرائيلية في بسط سيطرتها على منطقة النقب، ولا سيّما الجزء الغربي منها الذي كان قد أُخلي من سكانه. وقد تم إضفاء الطابع القانوني على هذه العملية من خلال سياسات مثل قانون الاستحواذ على الأراضي (Land Acquisition Law) الذي أتاح للدولة إمكانية الاستيلاء على الأراضي بحجة المصلحة العامة والاعتبارات الأمنية (Marx, ٢٠٠٠).

بدأت المفاوضات بين إسرائيل ومصر في جزيرة رودس باليونان في ١٣ يناير الثاني ١٩٤٩، وذلك بعد أيام قليلة من دخول وقف إطلاق النار حيّز التنفيذ وانسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء ورفع. وقد استمرت هذه المفاوضات نحو ستة أسابيع، وجرت بوساطة رالف باننش الذي تولّى مهمة الوسيط المؤقت للأمم المتحدة خلفاً لبرنادوت. وخلال مسار التفاوض، لم تكن موازين القوى متكافئة بين الطرفين؛ إذ كانت مصر في وضع أضعف نتيجة الخسائر العسكرية الكبيرة التي تكبّدها، في حين تمتعت إسرائيل بموقع تفاوضي أقوى بعد نجاحاتها العسكرية في عدة جبهات. وفي حال عدم التوصل إلى اتفاق، كان من المحتمل أن يتجدد التصعيد العسكري، بل وربما يفتح المجال أمام إسرائيل لمواصلة عملياتها نحو قطاع غزة أو إعادة التوغّل في شبه جزيرة سيناء. وقد

جعلت هذه المعطيات المفاوضات تجري تحت ضغط كبير على الجانب المصري، بهدف التوصل إلى اتفاق يحدّ من استمرار الخسائر ويوقف تدهور الوضع (Morris, ٢٠٠٨).

في السجلات التاريخية للصراع في منطقة النقب في مرحلة ما بعد حرب العرب وإسرائيل عام ١٩٤٨، تبرز حادثة عنف وقعت في أغسطس ١٩٤٩، كُشف عنها لاحقاً من خلال وثائق أرشيفية وتقارير تحقيقية نشرتها صحيفة هآرتس بعد عدة عقود. وترتبط هذه الحادثة بامرأة بدوية شابة تم اعتقالها من قبل وحدة من الجيش الإسرائيلي في محيط المنطقة العسكرية نيريم بتاريخ ١٢ أغسطس ١٩٤٩. وبحسب وثائق القضاء العسكري، تعرّضت الضحية لاعتداءات جنسية متكررة من قبل عدد من أفراد الجيش تحت قيادة أحد الضباط، قبل أن يتم قتلها ودفنها في موقع منفصل. وقد أُشير إلى هذه الحادثة في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي التي تُصوّر الديناميات السياسية المرتبطة بسيطرة إسرائيل على مجتمع البدو في النقب، وذلك على النحو الآتي:

"راحت عملية الحفر تجري بسكون يكاد يكون مطبقاً، خلا خفيف الجراف وهو يحمل الرمل ويرمي به، وأصوات متفرقة كان مصدرها الجنود في المعسكر تناهت إليهم من خلف التلال، بحيث أفقدها البعد حدتها، وجعلها مبهمة أشبه بالهمهمات. ثم علا صوت صراخ حاد على حين غرة. كانت الفتاة تولول وهي تركض فارة. ثم سقطت فوق الرمل قبل أن يسمع في الفضاء صوت الطلقة التي استقرت في الجانب الأيمن من رأسها. وساد الهدوء من جديد. قبل أن يحرك فمه امرأ السائق أن يطلب من نائبه الرقيب أن يقوم بذلك. بعدها بقليل، انطلق في الفضاء صوت ست طلقات، ثم حل السكون مرة أخرى. صبيحة ١٣ اب ١٩٤٩." (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ٦١).

إن السرد في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي، الذي يصوّر عملية إعدام فتاة بدوية في ١٣ أغسطس ١٩٤٩، يُمثّل ديناميات سياسية ترتبط بممارسات السلطة

العسكرية في سياق فرض السيطرة على المجال بعد الحرب. فمشهد حفر القبر، وصراخ الضحية، وصولاً إلى إصدار أمر الإعدام وتنفيذه بصورة منظّمة، يدلّ على أن هذا العنف لم يكن فعلاً عفوياً، بل جاء ضمن آليات القيادة والسيطرة داخل المؤسسة العسكرية. كما أن تكرار الصمت الذي يعقب دويّ الطلقات يعزّز الانطباع بأن هذه الأفعال جرت في فضاء معزول، بعيداً عن الرقابة العامة، بما يتيح ممارسات السلطة أن تتم دون خضوع للمساءلة أو الضبط.

تمت لاحقاً محاكمة هذه القضية أمام القضاء العسكري الإسرائيلي، حيث حُكم على مساعد الضابط المتورط بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً في ١٥ نوفمبر الثاني ١٩٥٠، في حين تلقى عدد من الأفراد الآخرين أحكاماً تراوحت بين سنة وثلاث سنوات بسبب الإهمال والمشاركة غير المباشرة. كما أُدين أحد الجنود بارتكاب جريمة اغتصاب وصدر بحقه حكم بالسجن لمدة ثلاثين شهراً. وتُعدّ هذه الحادثة نموذجاً لأشكال العنف التي رافقت العمليات العسكرية في منطقة النقب خلال مرحلة ترسيخ السيطرة في أعقاب هدنة عام ١٩٤٩ (Alyaum, ٢٠٠٣). ومن ناحية أخرى، فإن حقيقة منع دولة إسرائيل عودة السكان العرب إلى مناطقهم الأصلية، إضافة إلى تدمير القرى التي تم إخلاؤها، كثيراً ما يتم تجاهلها في العديد من النقاشات التاريخية، على الرغم من أنها تعزّز من المؤشرات الدالة على حدوث تهجير قسري مقصود. ويؤكد راز أن هذه المسألة تحمل أبعاداً سياسية كبيرة، إذ إن اختلاف الروايات حول أسباب النزوح الفلسطيني يحدّد مسألة تحمّل المسؤولية. ففي نظر شريحة واسعة من المجتمع الإسرائيلي، إذا اعتُبر أن السكان العرب قد غادروا طوعاً، فإن الدولة لا تتحمّل مسؤولية تلك المأساة. أما إذا ثبت أنهم تعرّضوا للطرد والعنف على يد القوات العسكرية، فإن ذلك يفرض أعباءً أخلاقية وتاريخية جسيمة على شرعية عملية قيام دولة إسرائيل (العري، ٢٠٢٦).

٢. أهمية منطقة النقب بالنسبة لمفهوم إسرائيل الكبرى (التي تشمل شبه جزيرة سيناء في مصر)

في ١ يوليو ١٩٤٦، وجّه موشيه سنيه، الذي كان يتولى آنذاك قيادة منظمة الهاغاناه، رسالة سرية إلى مناحيم بيغن، تضمّنت في جوهرها موافقة ضمنية على خطة تفجير فندق الملك داود. وقد كانت الخطة الأصلية تقوم على تنسيق مشترك بين الإرغون والهاغاناه وليحي، بحيث تستهدف الإرغون فندق الملك داود، في حين تنقذ المجموعتان الأخريان هجمات على مواقع مختلفة. غير أن الهاغاناه وليحي انسحبتا لاحقاً من العملية، ولا سيّما بعد تهديد حايم وايزمان بالاستقالة من المنظمة الصهيونية العالمية في حال المضي قدماً في تنفيذ الخطة، لما قد يترتب عليها من انقسام داخل مجتمع اليشوف. وعلى الرغم من أن سنيه قام بتأجيل التنفيذ عدة مرات، فإن الإرغون قررت في نهاية المطاف تنفيذ العملية بشكل منفرد. وقبيل وقوع الانفجار، حاولت قيادة اليشوف توجيه تحذيرات عبر الهاتف إلى القنصلية الفرنسية ومكتب البريد في فلسطين، إلا أن هذه التحذيرات لم تُؤخذ بعين الاعتبار. وعند الساعة ١٢:٣٧ ظهراً، انفجرت المواد المتفجرة المزروعة بقوة هائلة تعادل قبلة جوية ترزن نحو ٥٠٠ كيلوغرام، مما أدى إلى مقتل عدد كبير من الأشخاص على الفور ودفن العشرات تحت الأنقاض. وقد وقعت هذه الحادثة في سياق سعي قيادة اليشوف إلى تكريس حقائق على الأرض بوصفها جزءاً من استراتيجية تهدف إلى توسيع حدود الدولة اليهودية في المستقبل (Gordis, ٢٠١٦).

خلال فترة الانتداب البريطاني، عملت الحركة الصهيونية بشكل منهجي على توجيه جهودها نحو تحقيق إقامة دولة يهودية في فلسطين، حيث احتلت منطقة النقب موقعاً محورياً ضمن هذه الاستراتيجية، نظراً لاتساع مساحتها وموقعها الاستراتيجي الذي يربط الجنوب بشبه جزيرة سيناء. وعلى الرغم من سياسات تقييد الهجرة اليهودية وشراء

الأراضي التي فرضتها السلطات البريطانية، فإن هذه الإجراءات لم توقف هذا المسار، بل دفعت إلى تبني استراتيجيات بديلة أكثر مرونة وسرية (Istifaga, ٢٠٢٦). وفي هذا السياق، أصبح إنشاء المستوطنات أداة أساسية لفرض حقائق على الأرض، بما يعزز المطالبات الإقليمية في المستقبل. وقد أُشير إلى هذا الحدث في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي التي تصوّر الديناميات السياسية المرتبطة بأهمية منطقة النقب ضمن مشروع إسرائيل الكبرى، وذلك على النحو الآتي:

"وهكذا، تحت جناح الظلام وبحمية حركة الهاجانا وبقيادتها خرجت ثلاثمائة شاحنة محملة بأكثر من ألف شخص نحو النقب، دون اعتراض أو مضايقة أحد لهم، بمن فيهم السلطات البريطانية التي لم تعرف عن الأمر شيئاً، إذ تم الترتيب للحملة بسرية كاملة وحتى دون معرفة الوكالة اليهودية." (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ١٠٤).

إن السرد في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي، الذي يصوّر تحرّك مئات الشاحنات تحت حماية منظمة الهاغاناه باتجاه منطقة النقب بشكل سري، يُمثّل ديناميات سياسية تتسم باستراتيجيات إقليمية غير معلنة مع اقتراب نهاية فترة الانتداب البريطاني في فلسطين. إن تنفيذ هذه العملية في إطار من السرية، حتى دون علم السلطات البريطانية أو بعض البنى الرسمية الصهيونية، يدلّ على وجود ممارسات سياسية لا تتسم بالشفافية الكاملة، بل تتخذ طابعاً تكتيكياً منظماً يهدف إلى تحقيق أهداف محددة. كما أن هذه التعبئة الواسعة، المدعومة بقوة شبه عسكرية، تعكس محاولة واضحة لفرض حقائق على الأرض بوصفها أساساً لإضفاء الشرعية على المطالبات الإقليمية، ولا سيما في منطقة النقب التي كانت آنذاك تعيش حالة من عدم اليقين بشأن وضعها السياسي.

بلغت هذه الاستراتيجية تجسيدها العملي في حدث النقاط الإحدى عشرة في النقب عام ١٩٤٦، حيث أُقيمت إحدى عشرة مستوطنة بشكل متزامن في ليلة واحدة قبيل يوم الغفران يوم كيبور. وكانت هذه المستوطنات في بدايتها لا تتكوّن سوى من

خيّام بسيطة ومبانٍ مؤقتة، غير أن دلالتها تجاوزت بكثير شكلها المادي. فقد شكّل وجودها خطوة أولى في عملية تحويل المشهد في النقب من منطقة قليلة السكان نسبياً إلى جزء لا يتجزأ من مشروع بناء الدولة. وقد تم اختيار مواقعها بصورة استراتيجية، مع مراعاة عوامل الأمن، والقرب من مصادر المياه، وإمكانات التطوير الزراعي في المستقبل. كما تعكس هذه العملية مستوى عالياً من التنظيم والتنسيق، إذ شملت تعبئة الموارد البشرية واللوجستية خلال فترة زمنية قصيرة، ومن دون لفت انتباه السلطات البريطانية. وعلاوة على ذلك، لم يكن إنشاء المستوطنات في النقب مرتبطاً بالاحتياجات الديموغرافية فحسب، بل عكس أيضاً أبعاداً أيديولوجية وسياسية للحركة الصهيونية. فقد نُظر إلى النقب بوصفه مجالاً ينبغي دمج ضمن الدولة المزمع إنشاؤها، سواء باعتباره فضاءً للتوسع أو كحاجز استراتيجي في مواجهة المناطق المحيطة. وعليه، فإن هذه الجهود الاستيطانية تُعد جزءاً من عملية أوسع هدفت إلى بناء أسس إقليمية واقتصادية وعسكرية للدولة الإسرائيلية التي أُعلن قيامها لاحقاً عام ١٩٤٨ (٢٠٢٦، استيفانغا).

تقع قرية بيت سوسين، وهي قرية فلسطينية تبعد نحو ١٧ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من مدينة الرملة، على قمة تلة ضمن المنحدر الجنوبي لسلسلة جبلية، وتتمتع بإطلالة واسعة باتجاه الغرب والجنوب (٢٠٢٦، Encyclopedia of the Palestine). وتحيط بالقرية واديان ينحدران من المرتفعات ليلتقيا أسفلها، مما يمنحها موقعاً جغرافياً مميزاً. كما تكتسب أهميتها الاستراتيجية من قربها من شبكة طرق تربط بين عدة مراكز حضرية، إضافة إلى إمكانية الوصول إلى الطريق الرئيس بين القدس ويافا عبر طرق فرعية. وخلال فترة الحروب الصليبية، عُرفت القرية باسم بيزيزين (Bezezin). وتشير السجلات العثمانية لعام ١٥٩٦ إلى أن بيت سوسين كانت تابعة لناحية الرملة ضمن لواء غزة، ويبلغ عدد سكانها نحو ٣٠٨ نسمة، وكانوا يعتمدون في معيشتهم على الزراعة، مثل القمح والشعير

والزيتون، كما كانوا يدفعون الضرائب على المحاصيل الزراعية والماشية وسائر المنتجات الأخرى.



خريطة قرية بيت سوسين (حوالي ١٩٣٠-١٩٤٨)

المصدر: الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية

مع دخول القرن التاسع عشر، وصف الرحالة إدوارد روبنسون، الذي مرّ بالقرية عام ١٨٥٢، بيت سوسين بأنها مستوطنة صغيرة وقديمة. وحتى منتصف القرن العشرين، وتحديدًا في عامي ١٩٤٤-١٩٤٥، بلغ عدد سكانها نحو ٢١٠ نسمة، وكان معظمهم يعتمدون في معيشتهم على الزراعة وتربية المواشي، مع تركيز رئيس على زراعة الحبوب وأشجار الزيتون. ومن الناحية المورفولوجية، كانت القرية تنقسم إلى قسمين؛ أحدهما رئيسي ذو شكل مستطيل، والآخر يقع على بُعد نحو ٢٥٠ مترًا إلى الجنوب الغربي. وقد بُنيت منازلها من الحجر، واحتوت على مسجد شكّل مركزاً للنشاط الديني للسكان المسلمين. أما مصادر المياه فكانت تعتمد على الينابيع الطبيعية، في حين هيمنت الأنشطة الاقتصادية الزراعية، ولا سيّما زراعة الحبوب والبساتين التي امتدت على آلاف الدونمات. غير أن تحوّلًا جذرياً وقع في عام ١٩٤٨ في سياق حرب العرب وإسرائيل.

وقد أُشير إلى الحدث اللاحق في الرواية "تفصيل ثانوي" لعدنية شبلي التي تُصوّر الديناميات السياسية المرتبطة بزوال قرية بيت سوسين، وذلك على النحو الآتي:

"بعد وقت من المسير فوقها، أبدأً بمبوط جبال القدس باتجاه مفترق بيت شيمين وفقما تشير الياغطات والذي قد يكون اسمه الأصلي بيت سوسين على اسم القرية القريبة التي تظهر في الخريطة من العام ١٩٤٨ ولم تعد موجودة." (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ٩٠).

إن السرد الذي يشير إلى اختفاء قرية بيت سوسين وعدم بقاء سوى مبنى واحد منها يُمثّل ديناميات تاريخية مرتبطة بتحوّل الفضاء نتيجة الصراع والعنف في سياق حرب العرب وإسرائيل عام ١٩٤٨. فإن اختفاء معظم البنية المادية للقرية لا يعكس فقط الآثار الملموسة للحرب، بل يدلّ أيضاً على عملية محو للآثار الاجتماعية والثقافية لمجتمع بأكمله. كما أن بقاء منزل واحد فقط قائم يُشكّل رمزاً لوجود ماضٍ يكاد يكون قد اندثر، وفي الوقت نفسه يمثّل علامة على الذاكرة الجمعية للحياة التي كانت قائمة في تلك المنطقة.

بحسب المؤرخ بني موريس، تم احتلال قرية بيت سوسين وتهجير سكانها في أعقاب العمليات العسكرية الصهيونية، ولا سيّما ضمن سياق عملية نحشون في ممرّ القدس حوالي شهر أبريل ١٩٤٨. غير أن مصادر أخرى، مثل عارف العارف، تشير إلى أن محاولة الهجوم الأولى في ٢٢-٢٣ مايو لم تنجح بسبب مقاومة السكان، وأن احتلال القرية تحقق لاحقاً في أواخر مايو، ما بين ٢٨ و ٣٠ مايو، في إطار العمليات المرتبطة بالسيطرة على منطقة اللطرون. وتُظهر السجلات العسكرية الإسرائيلية أيضاً أن قرية بيت سوسين، إلى جانب قرى مجاورة، قد تم الاستيلاء عليها من قبل وحدات من اللواء السابع، وقد أُعلن عن هذا الإنجاز رسمياً، بما في ذلك في تقارير إعلامية مثل صحيفة نيويورك تايمز. وقد كان للسيطرة على هذه القرية أهمية استراتيجية، إذ أسهمت في فتح

طريق إمداد بديل نحو القدس مع تجنّب منطقة اللطرون. وفي أعقاب هذا الاحتلال، تعرّضت قرية بيت سوسين للتدمير، على غرار العديد من القرى الأخرى في ممرّ القدس، على الرغم من عدم توفر تحديد دقيق لتوقيت تدميرها (Encyclopedia of the ٢٠٢٦ Palestine, .Palestine).

مع دخول شهر مارس ١٩٤٨، أدى تصاعد الصراع غير المتوقع، المرتبط أيضاً بدinamيات خطة تقسيم فلسطين المدعومة من الولايات المتحدة، إلى تأثيرات كبيرة على الاستراتيجيات العسكرية في الميدان. وقد دفعت هذه الظروف الجانب الصهيوني إلى تسريع تنفيذ العمليات الهجومية، التي انطلقت من منطقة القدس من خلال عملية نحشون في مطلع أبريل ١٩٤٨. وكانت قرية القسطل من بين الأهداف الرئيسة لهذه العملية، نظراً لموقعها الاستراتيجي على المرتفعات المطلة على طريق القدس-يافا. وقد شكّل الاستيلاء على هذه المنطقة جزءاً من الاستراتيجية الصهيونية الرامية إلى تأمين خطوط الإمداد نحو المستوطنات في القدس، من خلال إزالة المواقع العربية التي كانت تُعدّ تهديداً لتلك الخطوط (٢٠٢٠، الريموي).

مع دخول عام ١٩٤٨، تدهورت الأوضاع بشكل متسارع مع تصاعد أعمال العنف ضد المجتمع الفلسطيني. فقد تعرّض الفلسطينيون لانقطاع جذري عن أراضيهم الأصلية، وتشتّتوا قسراً، ولم تقتصر الآثار على الجانب المادي فحسب، بل طالت مجمل البنية الحياتية التي كانت قائمة منذ زمن طويل. إذ شهدت البنى الاجتماعية، وشبكات العلاقات، وروابط التضامن التي شكّلت أساس المجتمع الفلسطيني، حالة من الانهيار والتفكك العميق (٢٠١٨، شفيق الغيرة). ومع اقتراب نهاية عام ١٩٤٨، كادت ملامح الوجود الفلسطيني بوصفه وحدة جغرافية متكاملة أن تختفي، وتزامن ذلك مع انهيار الكيانات السياسية والبنى الأساسية التي كانت تدعم حياتهم الجماعية. وفي ٩-١٠ أبريل ١٩٤٨، ارتكبت مجموعة الإرغون المسلحة مجزرة بحق أكثر من ٢٥٠ مدنياً فلسطينياً في قرية دير

ياسين (Hudson, ١٩٩٠). وهو ما أثار حالة واسعة من الذعر بين السكان العرب الفلسطينيين. كما شكّل الدعم الدولي لإقامة دولة إسرائيل عاملاً مهماً في تعزيز موقعها وترسيخ نفوذها.

على الرغم من أن الأوضاع الداخلية في فلسطين، وكذلك وضع المجتمع اليهودي آنذاك، لم تكن مهياة بشكل كامل، فإن النقاش حول إعلان قيام الدولة استمر في ظل ضغوط وتباينات متعددة. ففي داخل فلسطين، اتسمت مواقف القيادات بنوع من التردد، بينما ظهرت على المستوى الدولي اختلافات في وجهات النظر، بما في ذلك موقف الولايات المتحدة إزاء خطة تقسيم فلسطين. كما برزت توترات بين الأوساط الصهيونية في الولايات المتحدة والحكومة الأمريكية، التي مارست بدورها ضغوطاً على دافيد بن غوريون لتأجيل إعلان الدولة. ومع ذلك، وبعد سلسلة من المشاورات المكثفة التي استمرت نحو عشرة أيام، قررت اللجنة التنفيذية الصهيونية، بأغلبية الأصوات، المضي قدماً في إقامة الدولة اليهودية تزامناً مع انتهاء الانتداب البريطاني. وقد تُوجّ هذا القرار بإعلان قيام الدولة في ١٤ مايو ١٩٤٨، بالتزامن مع انتهاء الحكم البريطاني في فلسطين، وتشكيل بنى سياسية جديدة، من بينها مجلس الشعب ومجلس الدولة المؤقت بوصفه هيئة تنفيذية. وقد تبع هذا الإعلان اعتراف عدد من الدول، مثل المملكة المتحدة ورومانيا والأوروغواي، ثم لحقت بها دول أخرى بعد يومين، من بينها الاتحاد السوفيتي وبولندا وإيرلندا، التي اعترفت بدولة إسرائيل. وفي المقابل، اتسم الموقف العربي الرسمي بالحذر، إذ قدّمت الدول العربية تدخلها العسكري بوصفه محاولة لإنقاذ السكان العرب الفلسطينيين. ومن ذلك ما أعلنته الحكومة المصرية يوم بدء التدخل، حيث أوضحت أنها أصدرت أوامر لقواتها بالدخول إلى فلسطين لإعادة الأمن والنظام ووضع حد للمجازر التي ترتكبها الجماعات الصهيونية الإرهابية ضد العرب والإنسانية (Morris, ٢٠٠٨). وقد

أشير إلى هذه المرحلة في الرواية "تفصيل ثانوي" لعُدنية شبلي التي تُصوّر الديناميات السياسية في مرحلة ما بعد إعلان قيام دولة إسرائيل، وذلك على النحو الآتي:

"فبعد إعلان تأسيس دولة إسرائيل في ١٤ أيار من العام ١٩٤٨، كانت نيريم أول مستوطنة تهاجمها قوات الجيش المصري، حيث تعرضت لقصف عنيف من قبل مدفعيته، تم إثره تدمير جميع المباني فيها ومقتل ثمانية من مؤسسيها، بالإضافة إلى جرح عدة آخرين." (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ١٠٥).

إن السرد في الرواية "تفصيل ثانوي" لعُدنية شبلي، الذي يصوّر الهجوم على مستوطنة نيريم عقب إعلان قيام دولة إسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨، يُمثّل ديناميات سياسية اتّسمت بتصاعد الصراع المفتوح بين الفاعلين الإقليميين في مرحلة ما بعد تأسيس الدولة الجديدة. ويظهر الهجوم الذي نفذته القوات المصرية أن إعلان قيام إسرائيل لم يؤدّ إلى تحولات داخلية فحسب، بل أسهم أيضاً في إثارة ردود فعل عسكرية مباشرة من الدول العربية المجاورة. ويعكس ذلك مرحلة انتقالية من صراع كامن إلى حرب مفتوحة، حيث أصبحت المناطق الاستراتيجية، مثل المستوطنات في النقب، نقاطاً مركزية للتنافس على السيطرة. كما أن عمليات القصف التي أدت إلى تدمير البنية التحتية للمستوطنات وسقوط ضحايا تُبرز أن السيطرة الإقليمية كانت تتمثّل أولوية أساسية لكل طرف، سواء في سياق الدفاع عن المناطق القائمة أو السعي إلى توسيع نطاق النفوذ.

في الفترة الممتدة من إعلان قيام دولة إسرائيل حتى عام ١٩٦٧، تمكّنت إسرائيل من توسيع سيطرتها لتشمل نحو ٧٧,٧٪ من أراضي فلسطين، وتزامن ذلك مع تزايد موجات الهجرة اليهودية. ومن الناحية الجغرافية، تقع إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط، وتحدها مصر والأردن وسوريا ولبنان، وتشغل الإقليم نفسه الذي تُعرف به فلسطين، والذي يُعد من المناطق المقدسة لدى المسلمين لاحتوائه على المسجد الأقصى (٢٠١٦، Satrianingsih). وقد رافق هذا التوسّع عمليات تهجير واسعة للسكان الفلسطينيين،

وتدمير القرى، إضافة إلى أشكال متعددة من العنف، مما أسهم في تعميق الأزمة الإنسانية. وعلى الصعيد الدولي، بدأت بعض الدول في الاعتراف بإسرائيل، حيث كانت تركيا من أوائل الدول ذات الأغلبية المسلمة التي اعترفت بها عام ١٩٤٩، مدفوعة باعتبارات جيوسياسية، ولا سيما في سياق مواجهة النفوذ الشيوعي بعد الحرب العالمية الثانية. وقد تطورت العلاقات الدبلوماسية لاحقاً لتشمل تبادل التمثيل والتعاون العسكري. وفي سياق أوسع، لا يمكن فصل قيام دولة إسرائيل عن الديناميات السياسية العالمية السابقة. فقد ظهرت فكرة إقامة وطن قومي لليهود منذ أواخر القرن التاسع عشر، من خلال مؤتمرات الحركة الصهيونية، ولا سيما مؤتمر بازل الذي أكد على فلسطين بوصفها الهدف الرئيس. ثم حازت هذه الفكرة على شرعية سياسية عبر وعد بلفور، وتعززت من خلال سياسات الانتداب البريطاني التي سهّلت الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وفي نهاية المطاف، شكّل انتهاء الانتداب البريطاني عام ١٩٤٨ نقطة تحوّل حاسمة تُوجت بإعلان قيام دولة إسرائيل، وهو ما مثّل في الوقت نفسه بداية مرحلة جديدة من الصراع الممتد والمعاناة التي يعيشها المجتمع الفلسطيني في أرضه (٢٠٢٢، بورعدة رمضان).

في سياق المعارك للدفاع عن مستوطنة نيريم في مايو ١٩٤٨، قُتل ما بين سبعة إلى ثمانية من أعضاء مجتمع الكيبوتس، وهم من الجيل المؤسس، خلال الهجوم العسكري الذي شنته القوات المصرية (Morris, ٢٠٠٨) انظر أيضاً معركة نيريم. وكان بعضهم من أصول مهاجرة أوروبية، بمن فيهم ناجون من المحرقة، وهو ما يعكس الترابط بين تجارب الصدمة في أوروبا والانخراط في مشروع الاستيطان الصهيوني في فلسطين (Morris, ٢٠٠٨). وقد أُشير إلى هذا الحدث في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي التي تُصوّر الديناميات السياسية المرتبطة بمقتل ثمانية من شباب الكيبوتس/نيريم، وذلك على النحو الآتي:

"وتركت هذه التجربة وبخاصة مقتل ثمانية من مؤسسيها الشباب الذين كان بعضهم من أسرى نجا أعضاؤها من محرقة اليهود في أوروبا." (الشلي، ٢٠١٧، ص. ١٠٦).

إن السرد في الرواية "تفصيل ثانوي" لعدنية شلي، الذي يسلط الضوء على مقتل ثمانية من شباب الجيل المؤسس لمستوطنة نيريم، والذين كان بعضهم من الناجين من المحرقة في أوروبا، يُمثّل ديناميات اجتماعية لا تقتصر على حدث العنف بحد ذاته، بل تمتد إلى عملية تشكّل الهوية الجماعية للمجتمع. فقد تم تأطير هذه الحادثة بوصفها تجربة صادمة، لكنها في الوقت ذاته أُعيد تفسيرها باعتبارها أساساً أخلاقياً وأيديولوجياً لاستمرارية مستوطنة نيريم. ولا يُقدّم هذا الفقدان بوصفه حدثاً محايداً، بل يُعاد إنتاجه ضمن سردية تؤكد على الصمود، وتُضفي شرعية على الوجود، وتعزّز روح النضال لدى المجتمع في مواجهة واقع الصراع.

في ٢٥ يناير الثاني ١٩٤٩، سادت أجواء رمزية مشحونة بالدلالات في دولة إسرائيل الناشئة، التي كانت قد مضت نحو ثمانية أشهر على إعلان قيامها في مايو ١٩٤٨. ففي ذلك اليوم، وفي ظل تراجع حدّة الحرب نسبياً، نظّمت إسرائيل أول انتخابات وطنية لها، بوصفها خطوة أولى نحو بناء نظام سياسي مستقر. وقد أسهم قيام الدولة في دفع عدد من القبائل البدوية إلى النزوح من منطقة النقب نحو الدول المجاورة، مثل مصر والأردن. وكان النقب قد أُدرج مسبقاً ضمن حدود الدولة اليهودية وفق خطة تقسيم الأمم المتحدة لعام ١٩٤٧. ونتيجة لهذه التحولات، شهدت أعداد البدو في النقب انخفاضاً حاداً، حيث تراجع عددهم من نحو ٦٥,٠٠٠ قبل عام ١٩٤٨ إلى ما يقارب ١١,٠٠٠ نسمة بعد ذلك. وعقب اندلاع حرب العرب وإسرائيل عام ١٩٤٨، وُضع إقليم النقب سريعاً تحت السيطرة العسكرية لقوات الدفاع الإسرائيلية، مع فرض نظام تصاريح صارم على الدخول إلى المنطقة. وخلال المرحلة الأولى من الحكم العسكري الممتدة بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٥٦، واجهت إسرائيل تحديات داخلية متعددة، من

بينها الضغوط الاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن آثار الحرب، إضافة إلى موجات الهجرة الواسعة. وقد ازدادت تعقيدات الوضع بسبب عدم استقرار الحدود، مما أدى إلى بروز مشكلات أمنية متكررة. ففي تلك الفترة، اتسمت المناطق الحدودية، ولا سيّما في النقب، بانتشار أنشطة التهريب غير القانوني، وأعمال التخريب، وسلسلة من الهجمات التي استهدفت المستوطنات المدنية اليهودية ووسائل النقل العام. وغالباً ما كانت هذه الهجمات تُنفَّذ من قبل مجموعات متسللة عبر الحدود، مما يشير إلى أنه رغم تراجع الحرب الشاملة، استمر الصراع والتوتر في أشكال من العنف المتقطع في المناطق الحدودية (٢٠٠٣ Shvarts). وقد أُشير إلى هذه المرحلة في الرواية "تفصيل ثانوي" لعديّة شبلي التي تُصوّر الديناميات السياسية المرتبطة بفترة الدوريات العسكرية في صحراء النقب، وذلك على النحو الآتي:

"فهناك معلومات من مصادر عسكريّة جويّة تفيد بوجود تحرّكات لهم ولبعض المتسللين. كما أنهم سيقومون بجولات استطلاعية يومية لاستكشاف المنطقة والتعرف عليها عن كثب. وقد تستغرقهم كل هذه العملية بعض الوقت، إلا أنهم سيقومون مرابطين هنا إلى أن يستتب الأمن بالكامل في هذا الجزء من النقب. كذلك، سيجرون تمرينات يومية ومناورات عسكرية مع بقية الجنود للتدرب على سبل القتال في ظروف صحراوية والتأقلم معها." (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ٢).

إن السرد في الرواية "تفصيل ثانوي" لعديّة شبلي، الذي يصوّر وجود معلومات استخباراتية حول تحرّكات العرب والمتسللين، إلى جانب فرض الدوريات اليومية والتدريبات العسكرية في منطقة النقب، يُمثّل ديناميات سياسية - عسكرية تتمحور حول السيطرة الإقليمية وأمن الحدود في مرحلة ما بعد حرب العرب وإسرائيل عام ١٩٤٨. وتُظهر أنشطة الدوريات المنتظمة والتدريبات المكثفة أن الفضاء الجغرافي لم يعد يُفهم بوصفه مجرد نطاق إداري، بل باعتباره منطقة استراتيجية ينبغي مراقبتها وفهمها

وإخضاعها للسيطرة العسكرية. كما أن التركيز على التكيّف مع طبيعة البيئة الصحراوية يعكس جهوداً منهجية لبناء الجاهزية القتالية، وفي الوقت ذاته تعزيز حضور الدولة من خلال الممارسات العسكرية اليومية.

ترأس الوفد المصري في مفاوضات الهدنة رسمياً العقيد محمد سيف الدين، غير أن الدور الأبرز يُرجّح أنه اضطلع به عبد المنعم مصطفى من وزارة الخارجية. كما ضمّ الوفد عدداً من الضباط العسكريين والمسؤولين الدبلوماسيين، إلى جانب ممثل القصر إسماعيل شيرين. ومع ذلك، ظلّ مركز اتخاذ القرار الفعلي غير واضح، سواء أكان في محيط الملك فاروق الأول، أم في هيئة الأركان العامة، أم لدى رئيس الوزراء، أم ضمن وزارة الخارجية. وعند الدخول في المفاوضات، استند الموقف الإسرائيلي إلى واقع عسكري ميداني مُواتٍ عقب الهزيمة التي مُنيت بها القوات المصرية، كما استند إلى قرار مجلس الأمن الدولي الذي دعا إلى انسحاب القوات إلى خطوط ١٤ أكتوبر الأول. وقد تعزّز هذا التوجّه بمذكرة صادرة عن رالف بانس دعمت تثبيت خطوط الهدنة وفق ذلك الإطار. وفي المرحلة الأولى، طالبت إسرائيل بانسحاب القوات المصرية من المناطق التي كانت لا تزال تحت سيطرتها، مثل قطاع غزة، كما اقترحت تحديد حدود الهدنة على أساس تلك المعطيات. وفي نهاية المطاف، نصّ الاتفاق على خط ترسيم خط هدنة يتبع في معظمه حدود عام ١٩٠٦، مع استثناء مهم تمثّل في بقاء قطاع غزة تحت السيطرة المصرية. كما أتاح الاتفاق استمرار الوجود العسكري المصري في القطاع، مع تحديد مناطق منزوعة أو محدودة التسليح على جانبي الحدود. وللإشراف على تنفيذ هذه الترتيبات، تم تشكيل لجنة هدنة مشتركة ضمّت ضباطاً من الطرفين، برئاسة ممثل عن الأمم المتحدة. وقد أُشير إلى هذه المرحلة في الرواية "تفصيل ثانوي" لعنيدة شبلي التي تُصوّر الديناميات السياسية المرتبطة بفترة الدوريات العسكرية في صحراء النقب، وذلك على النحو الآتي:

"أنهوا جوالتهم الاستطلاعية ذلك الصباح مع دنو الشمس من منتصف السماء، حين لم يعد بمقدورهم تحمل رمضها، ولا تحمل الجلوس في المركبة أكثر، والتي باتت أجزاءها تلسع الواحد فيهم حال مشها لشدة حرارتها. ما قبل ظهيرة ١٠ اب ١٩٤٩". (الشلي، ٢٠١٧، ص. ٩).

من الناحية الشكلية، تمّ النظر إلى هذا الاتفاق بوصفه جسراً يربط بين وقف إطلاق النار المؤقت والسعي نحو تحقيق سلام دائم في فلسطين. غير أنّ هذا الاتفاق، في الواقع العملي، لم يتطوّر إلى سلام شامل، وذلك نتيجة الرفض الجوهرى من قبل الدول العربية لمسألة التطبيع مع إسرائيل. وقد اتّسمت السنوات اللاحقة بتكرار عمليات التسلّل عبر الحدود، والهجمات المسلحة، وأعمال الرّدّ المتبادل، مما يعكس استمرار حالة التوتر والصراع. ومع ذلك، يحتفظ هذا الاتفاق بأهمية خاصة، لكونه أول اتفاق يُبرم بين إسرائيل ودولة عربية، كما يُعدّ تمهيداً للاتفاقيات اللاحقة، وعلى رأسها معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩ التي تحققت بعد عدة عقود.

٣. المصالح الإقليمية لإسرائيل في المنطقة الجنوبية

أنهم الجانب العربى بخرق الهدنة من خلال تعزيز مواقعه الدفاعية عبر إضافة وحدات جديدة، إلى جانب عرقلة إيصال الإمدادات اللوجستية إلى المستوطنات اليهودية المعزولة، كما عمل على فتح محاور استراتيجية على امتداد خطوط الدفاع. وفي المقابل، ظلّت أوضاع القدس، ولا سيّما المناطق اليهودية، في حالة حرجة نتيجة الضغط العسكري الذي مارسه الفيلق العربى، ونقص الإمدادات، فضلاً عن الانفصال السياسى عن دولة إسرائيل حديثة التأسيس. وقد أثارت هذه الظروف مخاوف جدّية لدى السكان والقيادة الإسرائيلية، حتى إن دافيد بن غوريون توقّع احتمال حدوث نزوح جماعى، مؤكداً ضرورة التمسك بالمدينة والدفاع عنها بكلّ الإمكانيات المتاحة. وفي الوقت ذاته، عملت

إسرائيل على تعزيز جبهاتها الأمامية من خلال زيادة عدد القوات، الأمر الذي أسهم تدريجياً في تغيير التوازن الاستراتيجي، خاصة مع بدء تجاوز الحظر المفروض على الأسلحة عبر الإمدادات الجوية والبحرية. وفي المرحلة الأولى من الهدنة، قدّر أحد الضباط البريطانيين أن الجانب اليهودي سيستغل فترة التوقف لتعزيز تنظيمه العسكري وترسيخ تماسكه الوطني، في حين قد يفقد الجانب العربي زخمه بسبب مشكلاته الداخلية. وعلى الرغم من ذلك، استمرت الاشتباكات المسلحة محدودة النطاق في مناطق مختلفة من فلسطين، في الوقت الذي استغل فيه الطرفان فترة الهدنة لإعادة بناء قدراتهما العسكرية. ومع حلول منتصف يونيو، تبين أن كلا الطرفين كان بحاجة فعلية إلى هذه الهدنة؛ إذ أفادت التقارير بأن القوات العربية كانت تعاني من الإرهاق ونقص الذخيرة، كما أشار ييغال يادين إلى ذلك في حديثه مع قاداته. وفي المقابل، أبدى القادة العسكريون في إسرائيل دعماً واضحاً لاستمرار الهدنة، وهو ما أكدّه أيضاً بن غوريون في مداولاته مع أعضاء حكومته (Gordis, ٢٠١٦).

في سياق العملية الدبلوماسية، برز دور وسيط الأمم المتحدة فولكه برنادوت بفضل نشاطه، وحياده، والتزامه. وقد بدأ مباحثاته في القاهرة في ٣٠ مايو، حيث أشار القادة المصريون وعبد الرحمن عزام إلى أن الدول العربية قد تقبل بوقف إطلاق نار مؤقت، لكنها ترفض الاعتراف بوجود دولة يهودية. كما اتسم اللقاء الذي جمع برنادوت مع دافيد بن غوريون في اليوم التالي بالتوتر، على الرغم من موافقة الطرفين في نهاية المطاف على مبدأ الهدنة. ولاحقاً، وافق الجانب العربي على هذا الاتفاق، رغم أن بعض الأطراف رأت فيه إعاقة لفرص النصر التي كانت تتوقعها. وفي أعقاب عمليات عسكرية مثل عملية يوآف، تصاعدت المخاوف في مصر من تدهور وضعها العسكري. ففي ١ نوفمبر الثاني، قامت الحكومة المصرية بتغيير القيادة العسكرية، حيث عُيّن اللواء أحمد فؤاد صادق بديلاً عن القيادة السابقة، إلا أن هذا التغيير لم يُحدث أثراً ملموساً في موازين

القوى على الأرض. وفي ظل هذه الضغوط، وجدت مصر نفسها مضطرة إلى تقليص انخراطها في فلسطين والنظر في خيارات دبلوماسية لتجنّب خسائر أكبر (Gordis, ٢٠١٦). أما مستوطنة نيريم (المعروفة عربياً باسم دنغور)، فقد دافع عنها نحو خمسة وأربعين من أفراد الهاغاناه، من بينهم اثنتا عشرة امرأة، في ظل إمكانيات تسليحية محدودة. إذ لم يتجاوز تسليحهم الثقيل رشاشين وقذيفة هاون من عيار بوصتين مع اثني عشر قذيفة، كان بعضها غير صالح للاستخدام. وقد جرى تلغيم محيط المستوطنة وتعزيزه بسياح دفاعي. وقبل الهجوم بأيام، غادرت القبائل البدوية المحلية المنطقة بناءً على تعليمات من الجانب العربي، في حين كانت استخبارات الهاغاناه قد توقعت أن تكون هذه المستوطنة هدفاً للهجوم. وقد شنت الكتيبة السادسة المصرية الهجوم في ساعات الصباح، مستهلةً بقصف مدفعي وقذائف هاون، تلاه هجوم للمشاة. غير أن القوات المصرية بدت وكأنها دخلت المعركة من دون دعم استخباراتي أو تخطيط كافٍ، وهو ما انعكس على مجريات المواجهة (Morris, ٢٠٠٨). وقد أُشير إلى هذه الحادثة في الرواية "تفصيل ثانوي" لعدينية شبلي التي تُصوّر الديناميات السياسية المرتبطة بصمود مستوطنة نيريم وإخفاق القوات المصرية، وذلك على النحو الآتي:

"ويحيل الكثيرون معجزة نجاح نيريم، بأعضائها التسعة والأربعين المسلحين بأسلحة خفيفة، بصد جيش نظامي يتمتع بعتاد كامل، ويبلغ عدد المقاتلين فيه ما يقارب الألف إلى روح العزيمة والتصميم التي تحلت بها المجموعة، واستمرار أفرادها بالتحرك والاتصال بين نقاط المراقبة المختلفة في المستوطنة. ما جعل الجيش المصري يدرك أنهم لن يستسلموا. فقرر تجلبها الإضاعة الوقت أكثر، عدم المكوث هناك والاستمرار بالزحف إلى الأمام". (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ١٠٦).

إن السرد في الرواية "تفصيل ثانوي" لعدينية شبلي، الذي يصوّر نجاح ٤٩ من سكان مستوطنة نيريم في مواجهة قوات مصرية تفوقهم عدداً وعتاداً، يُمثّل ديناميات

سياسية ترتبط ببناء القوة، واستراتيجيات الدفاع، وشرعية الوجود في سياق الصراع. ولا يُقدّم هذا النجاح بوصفه مجرد حدث عسكري، بل يُؤطّر باعتباره نتيجة للإرادة الجماعية، والتنسيق المحكم، والقدرة العالية على الصمود. كما يسلّط السرد الضوء على أهمية التضامن الداخلي، والتواصل بين مواقع الدفاع، إلى جانب اعتماد أساليب قتال غير تقليدية، مثل حرب العصابات، بوصفها أدوات لمواجهة قوة أكثر تفوقاً.

أولى دافيد بن غوريون، إلى جانب الحركة الصهيونية على مدى عدة عقود، اهتماماً كبيراً بمنطقة النقب والممر البحري الجنوبي المؤدي إلى خليج العقبة. وقد نُظر إلى هذه المنطقة الصحراوية بوصفها المجال الواسع الوحيد المتبقي القادر على استيعاب موجات الهجرة اليهودية الكبيرة، فضلاً عن الاعتقاد باحتوائها على موارد معدنية محتملة. وقد قام بن غوريون بعدة زيارات إلى المنطقة المعروفة في الأدبيات باسم إيلات (أو عصيون-جابر) خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين. وفي رسالة وجهها عام ١٩٣٥ إلى لويس براندايس، شدّد على الأهمية الاقتصادية والسياسية لهذه المنطقة، داعياً إلى إقامة مستوطنات يهودية فيها كوسيلة لفرض حقائق على الأرض تعزّز المطالبات الإقليمية. وقد أتاح نجاح قوات الدفاع الإسرائيلية في السيطرة على شمال النقب خلال أكتوبر - نوفمبر ١٩٤٨ فرصة واقعية للتقدّم نحو إيلات. وفي أواخر نوفمبر، بدأت القوات الإسرائيلية بالتحرك جنوباً على امتداد الجانب الشرقي من النقب، حيث سيطرت على مناطق مثل كرنب وعين حسوب في وادي عربة، بل وصلت دوريات الاستطلاع إلى بئر مليحة (Gordis, ٢٠١٦). وبالنسبة للقيادة الإسرائيلية، كان الوصول إلى البحر الأحمر ذا أهمية استراتيجية كبيرة، إذ يفتح آفاقاً للتجارة مع أفريقيا وآسيا، ويسهم في تقليل العزلة الناتجة عن العداء مع الدول العربية. وخلال اجتماع لمجلس الوزراء في يناير الثاني ١٩٤٩، أكّد بن غوريون أن الوصول إلى إيلات يُعد خطوة مشروعة ينبغي تحقيقها في أقرب وقت ممكن. وقد أُشير إلى هذه المرحلة في الرواية "تفصيل ثانوي" لعُدنية شبلي

التي تُصوّر الديناميات السياسية المرتبطة بفترة الدوريات العسكرية في صحراء النقب، وذلك على النحو الآتي:

"علينا ألا نتواني عن تكريس كل ما أوتينا به من قوة وعزم في سبيل بناء هذا الشق من دولتنا اليافعة، وحمايته والحفاظ عليه للأجيال القادمة، ما يلزمنا بأن نخرج للبحث عن العدو بدل انتظار ظهوره، "فمن ينوي قتلنا، عاجله بالقتل". (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ٣٨).

إن السرد في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي، الذي يُبرز خطورة المنطقة الجنوبية ويؤكد على ضرورة الصمود والبناء واستباق هجمات العدو، يُمثّل ديناميات سياسية-عسكرية ترتبط بعقيدة دفاعية ذات بعد توسّعي وقائي في منطقة النقب. ولا يقتصر هذا الطرح على التعبير عن إدراك هشاشة المناطق الحدودية في سياق ما بعد حرب العرب وإسرائيل عام ١٩٤٨، بل يعكس أيضاً تشكّل أيديولوجيا أمنية تضع الفعل الاستباقي في موقع الاستراتيجية المركزية. فالدعوة إلى التحرك خطوة إلى الأمام تُشير إلى إضفاء شرعية على الممارسات العسكرية الهجومية، من خلال تأطيرها بوصفها إجراءات دفاعية تهدف إلى ضمان بقاء الدولة الناشئة. وفي الوقت ذاته، فإن الدعوة إلى البناء والحفاظ على الأرض من أجل الأجيال القادمة تكشف عن ترابط وثيق بين المشروع العسكري والمشروع الوطني، حيث يُنظر إلى السيطرة على الفضاء بوصفها ركيزة أساسية لاستمرارية الدولة وترسيخ وجودها.

ومع ذلك، واجهت محاولات التوسّع نحو الجنوب جملة من العوائق، من بينها المخاوف من تدخّل مصري، إضافة إلى الصعوبات اللوجستية. غير أنّ توقيع اتفاق الهدنة مع مصر أسهم في إزالة أحد أبرز هذه العوائق. كما ساعدت سلسلة من دوريات الاستطلاع التي استمرت حتى نهاية فبراير في تحديد مسارات الحركة الممكنة. وفي مطلع مارس، تحرّكت وحدات ميكانيكية تابعة للواء غولاني ولواء النقب انطلاقاً من منطقة بئر

السبع عبر مسارين مختلفين؛ أحدهما عبر وادي عربة الذي يُعدّ أكثر سهولة نسبياً، والآخر عبر تضاريس وعرة في وسط النقب، إلى أن وصلت في نهاية المطاف إلى أم الرشراش، حيث سبقت قوات لواء النقب إلى الوصول. في سياق أوسع، ترتبط هذه الديناميات ارتباطاً وثيقاً بتعقيدات الجغرافيا السياسية في المنطقة، بما في ذلك مصالح الأردن الساعية إلى توسيع نطاق سيطرته ليشمل الضفة الغربية وجنوب النقب. فقد أبدى الأردن في البداية دعمه لوقف إطلاق النار استناداً إلى خطة التقسيم التي أقرتها الأمم المتحدة، والتي تعزّزت لاحقاً بمقترحات فولكه برنادوت، في حين فضّلت إسرائيل التوصل إلى تسوية تستند إلى الواقع العسكري الذي أفرزته الحرب. كما طالب الأردن بتسليم بعض المناطق وإجراء تبادل للأراضي في القدس، في حين سعت إسرائيل إلى ضمان حرية الوصول بين القدس الغربية ومواقع ذات أهمية دينية واستراتيجية، مثل جبل سكوبس، وجبل الزيتون، وحائط البراق (Morris, ٢٠٠٨).

ج. الأوضاع الاقتصادية المرتبطة بحادثة عام ١٩٤٩ في الرواية "تفصيل ثانوي" لأدنية الشبلي

١. المصالح الزراعية الصحراوية في إسرائيل ومصالح الموارد المعدنية

بعد فترة وجيزة من اندلاع حرب العرب وإسرائيل عام ١٩٤٨، وضعت قوات الدفاع الإسرائيلية منطقة النقب تحت نظام الحكم العسكري. وفي إطار هذا النظام، فُرض على كل فرد الحصول على تصاريح خاصة للدخول إلى مناطق معينة أو الخروج منها، وكانت صلاحية إصدار هذه التصاريح محصورة بالكامل بيد الحاكم العسكري. وبينما بقيت بعض الجماعات البدوية في أراضيها الأصلية، تعرّضت جماعات أخرى لعمليات تهجير قسري، حيث جرى تركيزها في مناطق لا تتجاوز نحو ١٠٪ من مجالها الحيوي السابق. وقد تفاقمّت هذه الأوضاع بفعل فقدان مصادر العيش، مثل المحاصيل

الزراعية والثروة الحيوانية، لا سيّما في ظل أزمة غذائية عمّت المنطقة آنذاك. وأدّت هذه السياسات مجتمعة إلى تأثيرات عميقة على استمرارية نمط الحياة البدوية القائم على الترحال. ونتيجة لهذه القيود، أصبح القادة التقليديون في المجتمع البدوي، ولا سيّما الشيوخ، أكثر اعتماداً على السلطة العسكرية. إذ وُضعوا تحت إشراف الحاكم العسكري، وأسندت إليهم مهام إدارية، من بينها توزيع تصاريح التنقل، وتسجيل الوقائع الحيوية داخل مجتمعاتهم، مثل الولادات والزيجات والوفيات، وذلك مقابل امتيازات محددة. ومع تقدّم القوات الإسرائيلية إلى شمال النقب، أنشأت الحكومة الإسرائيلية المؤقتة أيضاً هيئة جديدة عُرفت باسم دائرة شؤون الأقليات ضمن وزارة الصحة، برئاسة الدكتور أ. ملخي، وذلك في إطار تنظيم وإدارة السكان غير اليهود في تلك المنطقة (Shvarts, ٢٠٠٣).

في منتصف تسعينيات القرن العشرين، ارتفع عدد التجمعات البدوية غير المعترف بها من قبل الدولة إلى نحو ٤٥ موقعاً، مع تباين في حجم السكان وتوزيع الأراضي. وقد خضعت عملية الاستقرار (التحوّل إلى نمط الحياة المستقر) لدى بدو النقب، سواء عبر القنوات الرسمية أو من خلال التجمعات غير القانونية، لرقابة دوريات شبه عسكرية عُرفت باسم الدورية الخضراء، التي أنشئت عام ١٩٧٦ على يد أريئيل شارون. وقد اضطلعت هذه الوحدة بوظائف تنظيمية رقابية، شملت هدم الخيام المصنّفة على أنها غير قانونية، والتحكّم في أعداد الماشية واستخدام الأراضي، وإتلاف المحاصيل غير المرخص بها، فضلاً عن فرض عقوبات على السكان (Khairunnisa, ٢٠٢٣). وعلى الصعيد الثقافي، تعكس المساكن التقليدية للبدو نمط الحياة القائم على الترحال، الذي لا يقوم على السعي نحو الرفاه المادي. إذ تُبنى خيامهم من مواد طبيعية، مثل شعر الماعز أو الإبل، إضافة إلى النباتات المحلية، وتتميّز ببنية قابلة للتركيب والنقل والتفكيك بسهولة. وقد أُشير إلى هذه الظاهرة في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي التي تُصوّر الديناميات الاقتصادية المرتبطة بالأنشطة الزراعية في صحراء النقب، وذلك على النحو الآتي:

"فالببدو عامة يقلعون ولا يزرعون، ومواشيهم تبتلع كل ما يمتد أمامها من خضرة، جاعلين المساحات الخضراء القليلة تتناقص يوماً بعد يوم." (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ٣٩).

إن السرد في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي، الذي يصوّر نشاط البدو من خلال اقتلاع النباتات ورعي الماشية التي تستهلك ما تبقى من الغطاء النباتي، يُمثّل بناءً خطائياً مشحوناً بحمولات أيديولوجية تجاه المجتمع المحلي في النقب. ولا يقتصر هذا التصوير على إبراز طبيعة التفاعل بين الإنسان والبيئة، بل يسهم أيضاً في تشكيل صورة سلبية عن المجتمع البدوي، من خلال تقديمه بوصفه مجتمعاً استغلالياً وغير منتج زراعياً. ويمكن قراءة هذا التمثيل في إطار سردية أوسع ضمن سياق الاستعمار الاستيطاني، حيث يُصوّر السكان الأصليون في كثير من الأحيان على أنهم غير قادرين على إدارة الأرض، الأمر الذي يفضي ضمناً إلى إضفاء شرعية على عمليات الاستيلاء على الأراضي من قبل قوى أخرى.

ويعكس هذا النمط قدرةً عالية على التكيف مع البيئة الصحراوية، إلى جانب مستوى مرتفع من التنقل الذي يُعدّ سمة أساسية للحياة البدوية في مناطق الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (Khairunnisa, ٢٠٢٣). غير أنّ التحوّلات الجيوسياسية والاقتصادية أسهمت لاحقاً في دفع عملية تغيّر أنماط السكن. فقد أُبدلت الخيام التقليدية تدريجياً بأكوخ بسيطة مصنوعة من صفائح معدنية، وهو ما يعكس انتقالاً من نمط الحياة البدوية الرحّل إلى نمط شبه مستقر أو استقرار مؤقت. وترتبط هذه التحوّلات ارتباطاً وثيقاً بضغط السياسات الحكومية التي قيّدت حركة التنقل وحدّت من الوصول إلى الأراضي، الأمر الذي أجبر المجتمع البدوي على التكيف مع أنماط معيشية جديدة.

منذ قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، واصل المجتمع البدوي السعي للحصول على اعتراف رسمي بملكيته للأراضي بهدف الحفاظ على أنشطته الزراعية، إلا أنّ هذه المطالب غالباً ما لم تُلبّ (Meir & Stavi, ٢٠٢١). واستجابةً لذلك، أقام البدو تجمعات سكنية غير

رسمية في المناطق التي يعدونها أراضي أجدادهم. ومع مرور الوقت، أسهمت هذه التحوّلات في إعادة تشكيل البنية الاقتصادية؛ إذ انتقل الرجال البدو من قطاعي الرعي والزراعة إلى العمل كعمّال في القطاع الصناعي، لا سيّما في محيط بئر السبع، في حين تراجعت أدوار النساء التقليدية، مثل إدارة الثروة الحيوانية وتلبية الاحتياجات المنزلية (Abu-Rabia, ٢٠٠٠). وعلى المدى البعيد، أدّت السياسات الحكومية والتحوّلات الاجتماعية - الاقتصادية إلى انتقال واسع من نمط الحياة البدوية الرحّل إلى نمط الاستقرار الدائم. كما أنّ تنظيمات ملكية الأراضي، التي تعود جذورها إلى العهد العثماني واستمرّت في ظل الحكم الإسرائيلي، أسهمت في تقييد حركة البدو وزيادة اعتمادهم على الدولة. ولم تقتصر آثار هذه التحوّلات على الجانب الاقتصادي فحسب، بل امتدت أيضاً إلى البنية الاجتماعية وأنماط التفكير داخل المجتمع. وفي الوقت الراهن، دخلت غالبية بدو النقب مرحلة الاستقرار الدائم، رغم أنّ هذه العملية جرت في ظل ضغوط وتكيّفات معقّدة، مع تقلّص ملكيتهم للأراضي بشكل حاد لتصل إلى نحو ٣-٣,٥٪ مقارنةً بحوالي ٤٨٪ عام ١٩٤٨ (Degen, ٢٠٠٣).

٢. تطوير المدن والبنية التحتية

عندما اقترح يتسحاق ساديه، الذي كان يشغل آنذاك منصب مستشار عسكري لدافيد بن غوريون، إخلاء بعض المستوطنات النائية في الجنوب نظراً لصعوبة الدفاع عنها عسكرياً، رفض بن غوريون هذا المقترح، مؤكداً أنه لا ينبغي التسرّع، وأن كسب الوقت يُعدّ عاملاً حاسماً (Morris, ٢٠٠٨). وقد تبين لاحقاً صواب هذا القرار، إذ بدأت الهجمات التي شنتها القوات المصرية تفقد زخمها، في حين أُتيحت لهاغاناه فرصة إعادة تنظيم مواقعها العسكرية، إلى جانب استيعاب وتوزيع الأسلحة الثقيلة التي تم شراؤها من أوروبا والولايات المتحدة، والتي لم يكن بالإمكان إدخالها قبل منتصف مايو.

في ٩ يوليو ١٩٤٨، شنت القوات الإسرائيلية هجوماً واسع النطاق استهدف عدداً كبيراً من المدن والبلدات والقرى الفلسطينية في مناطق شاسعة كانت مخصصة للدولة العربية وفق قرار التقسيم، حيث قامت باحتلالها وطرد سكانها الفلسطينيين منها. وقد أبدى الحزب الشيوعي دعماً واضحاً لسيطرة القوات العسكرية على هذه المناطق التابعة للدولة العربية، ولتوسيع حدود إسرائيل، كما شارك أعضاء الحزب وأنصاره المنخرطون في الجيش في هذه العمليات دون شروط (٢٠٢٢، محارب).

كان لتداعيات الصراع أثر بالغ على القوات العربية، إذ تعرّضت معظم تشكيلاتها العسكرية لهجمات مباشرة أسفرت عن سقوط مئات الضحايا. ولم تقتصر الخسائر على الأفراد فحسب، بل شملت أيضاً فقدان كميات من الأسلحة والذخائر، إلى جانب خسارة قواعد ومواقع استراتيجية، الأمر الذي أدّى إلى تحوّل وضعها من الهجوم إلى الدفاع في ظل تراجع ملحوظ في المعنويات. وفي المقابل، شهدت أوضاع المجتمع العربي في مختلف المناطق حالة من الانهيار الشامل؛ حيث دُمّرت العديد من التجمعات السكنية أو أُخليت، وتوقّفت الأنشطة الاقتصادية، وفُقدت كميات كبيرة من الممتلكات. كما اضطر عشرات الآلاف من السكان إلى النزوح، سواء إلى المناطق الداخلية أو إلى الدول العربية المجاورة، مما أفقدهم قواعدهم الإقليمية التي كانت تُستخدم سابقاً لشنّ الهجمات على المناطق اليهودية المحيطة. وقد تفاقمّت هذه الأوضاع بفعل الخسائر الاقتصادية الكبيرة، وضعف القدرات العسكرية، وظهور حالة من الاضطراب الاجتماعي نتيجة تزايد أعداد اللاجئين، ونقص الإمدادات، وانتشار الأمراض، وخطر الأوبئة. وفي نهاية المطاف، انتهت هذه المرحلة من الصراع بسيطرة الهاغاناه على محورين جغرافيين متصلين يمتدان من الشمال إلى الجنوب داخل فلسطين، وهما في الغالب قريان من مناطق تركز المستوطنات اليهودية، بما في ذلك محور الجليل الأعلى، ووادي الأردن، ومنطقة بيسان (Morris, ٢٠٠٨).

في الأسابيع والأشهر التي أعقبت انتهاء الصراع، اعتمدت السلطات الإسرائيلية سياسة تهدف إلى إفراغ المناطق الحدودية الجديدة من الوجود العربي. وقد نُقل بعض السكان إلى المناطق الداخلية، ولا سيّما إلى القرى العربية التي بقيت ضمن حدود إسرائيل، في حين جرى ترحيل آخرين إلى خارج الحدود. وتطوّرت هذه السياسة بصورة غير منظّمة ومرتبطة بالظروف الميدانية، حيث غلبت عليها الاعتبارات العسكرية. ويعود ذلك إلى طول الحدود وهشاشتها أمام عمليات التسلّل، إضافة إلى محدودية انتشار المستوطنات اليهودية في المناطق الحدودية التي تمّت السيطرة عليها حديثاً. وقد نُظر إلى القرى العربية في تلك المناطق باعتبارها مواقع محتملة لإيواء مجموعات مسلّحة غير نظامية، أو جواسيس، أو لاجئين غير شرعيين، كما يمكن أن تتحوّل، في حال تجدد الصراع، إلى ممّرات لاقتحام قوات معادية. وفي الوقت ذاته، نفّذت الوحدات العسكرية وقوات الشرطة والأجهزة الأمنية عمليات تمشيط دورية في القرى، سواء كانت مأهولة بالسكان أو مهجورة، بهدف الكشف عن المتسللين واتخاذ إجراءات بحق اللاجئين الذين حاولوا العودة. وقد تمتّعت بعض القرى، مثل فردية، بأهمية استراتيجية، في حين كانت معظم القرى الأخرى تقع أيضاً بالقرب من الحدود، نظراً لصغر مساحة الدولة وحدودها المتداخلة. ومع انحسار المعارك الكبرى في وسط فلسطين بحلول منتصف عام ١٩٤٨، لم يبق سوى عدد محدود من سكان القرى العربية في المناطق الواقعة داخل الجانب الإسرائيلي من خطوط الهدنة التي فصلت الدولة الجديدة عن المناطق الخاضعة لسيطرة الأردن والقوات العراقية في منطقة المثلث. كما أنّ معظم القرى التي أُخليت قبل عام ١٩٤٨ تعرّضت لاحقاً لعمليات تدمير من قبل القوات الإسرائيلية، بهدف منع عودة اللاجئين وجعل تلك المناطق غير صالحة لإعادة الاستيطان (Morris, ٢٠٠٤).

خلال الفترة الواقعة بين حرب العرب وإسرائيل الأولى والثانية، نظرت القوى الكبرى إلى وضع منطقة النقب بوصفه قضية قابلة للتفاوض، وكانت تميل عموماً إلى

دعم إمكانية نقل جزء من هذه المنطقة أو كاملها إلى الجانب العربي. وقد أبدت كلٌّ من مصر والأردن اهتماماً خاصاً بالسيطرة على النقب، سواء بوصفه منطقة عازلة في مواجهة إسرائيل، أو باعتباره ممراً برياً يربط بين المشرق والمغرب العربيين. في المقابل، واجه القادة الإسرائيليون، وعلى رأسهم دافيد بن غوريون، هذه الضغوط من خلال التأكيد على أن النقب جزء لا يتجزأ من أرض إسرائيل. وقد اعتُبر هذا الإقليم ذا أهمية لا تقتصر على الجوانب الاستراتيجية والاقتصادية فحسب، بل تمتد أيضاً إلى بعدٍ أيديولوجي، حيث جرى النظر إليه بوصفه حدوداً جديدة لمشروع الصهيونية (Oren, ١٩٨٩).

بدأت عملية إخلاء المناطق الحدودية فعلياً قبل ذلك بعدة أيام. ففي ٧ نوفمبر الثاني، أصدرت اللواء التاسع أمراً يقضي بإخلاء جميع سكان قرية إقرت، الواقعة على بُعد نحو ثلاثة كيلومترات جنوب الحدود، من قريتهم في اليوم التالي، مع استثناء كاهن واحد، والانتقال إلى منطقة الرامة بذريعة الدواعي الأمنية. وقد أُبلغ السكان بأن هذا الإجراء مؤقت، ولمدة لا تتجاوز خمسة عشر يوماً. وفي الوقت ذاته تقريباً، صدرت تعليمات إلى ما تبقى من سكان قرية ترخا من الطائفة الشيعية، إضافة إلى قريتين تابعتين لها، هما صروح والنبي روبين ذات الغالبية السنية، بمغادرة المنطقة والتوجّه نحو لبنان، وهو ما استجاب له معظمهم. وبعد بضعة أيام، بدأ نحو ٦٠٠ من سكان إقرت بالانتقال إلى الرامة، التي تقع على بُعد نحو ٢٠ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي، وما تزال ضمن حدود إسرائيل، وذلك بمساعدة القوات العسكرية. وقد أُشير إلى هذه الحادثة في الرواية "تفصيل ثانوي" لعنيدة شبلي التي تُصوّر الديناميات الاقتصادية المرتبطة بتطوير المدن والبنية التحتية، وذلك على النحو الآتي:

"بعد حرب الاستقلال يَخْتِتم سرده، تم التوصل إلى قرار يفني بنقل

المستوطنة إلى موقعها الحالي الذي يبعد حوالي خمسة وعشرين كيلومتراً

شمالاً عن موقعها الأصلي." (الشبلي، ٢٠١٧، ص. ١٠٨).

إن السرد في الرواية "تفصيل ثانوي" لعدنية شبلي، الذي يصوّر نقل المستوطنة إلى منطقة تقع شمالاً على بُعد نحو ٢٥ كيلومتراً من موقعها الأصلي، يُمثّل ديناميات اقتصادية ترتبط بإدارة الفضاء والموارد واستدامة حياة المجتمع. ولا يُفهم قرار إعادة التوطين بوصفه مدفوعاً باعتبارات أمنية فحسب، بل أيضاً بعوامل بيئية واقتصادية، مثل توافر المياه وارتفاع معدلات هطول الأمطار، وهو ما يؤثر مباشرة في الإمكانيات الزراعية واستمرارية الحياة في تلك المستوطنة.

ومن المثير للاهتمام أنّ قرية إقرت، التي كان يسكنها في غالبيتها أتباع الكنيسة الكاثوليكية اليونانية، كانت قد استسلمت دون مقاومة للواء أوديد في ٣٠ أكتوبر الأول، بل واستقبلت القوات القادمة بوصفها محرّرة، مستخدمة رمزي الحزب والملح (٢٠٠٤ Morris). وفي ١٠ نوفمبر الثاني، أصدرت القيادة الشمالية أمراً عاماً يقضي بإخلاء المناطق الحدودية المحاذية للبنان، وهو ما نُقِّذ تدريجياً خلال الأشهر التالية على امتداد الحدود الأخرى لإسرائيل. وكما حدث في العديد من القرى خلال عام ١٩٤٨، بقي في إقرت وصروح وترنخا والنبي روبين عدد من السكان، لا سيّما كبار السن والأطفال ومن لم يتمكنوا من المغادرة. وفي ٢٢ ديسمبر الأول، قرر جيش الدفاع الإسرائيلي تنفيذ عملية إخلاء دائمة لهذه القرى. حيث قامت وحدات من الكتيبة ٩٢ التابعة للواء التاسع بعمليات تمشيط من منزل إلى منزل، وجمع ونقل السكان المتبقين، بمن فيهم كبار السن جداً. وفي المرحلة الأولى من هذه العملية، لم يكن هناك تمييز واضح في المعاملة بين السكان المسيحيين والمسلمين. غير أنّه مع مرور الوقت، وبفعل مداخلات عدد من الضباط مثل دنكلمن، ومسؤولين حكوميين مثل شموني، إضافة إلى تدخل رجال دين مسيحيين، بدأت القيادة الشمالية تدريجياً في تبني سياسة أكثر ليونة وتمييزاً تجاه السكان المسيحيين (Morris, ٢٠٠٤).

في أواخر عام ١٩٤٨ وبداية عام ١٩٤٩، شهدت المنطقة تدفقاً مستمراً لمحاولات تسلل من قبل لاجئين عادوا من لبنان إلى قراهم الأصلية. وفي يونيو ١٩٤٩، قامت السلطات العسكرية بنقل ما تبقى من السكان العرب في قرية بئرهم، والذين كانوا يضمّون نحو عشرة من الحراس الأصليين وعدداً من الأشخاص الآخرين، إلى منطقة جش. وخلال تلك السنة، نفّذت القوات العسكرية بشكل متكرر عمليات مدهمة في القرى، حيث كانت تفصل بين السكان الذين يُعدّون قانونيين وغير قانونيين، وغالباً ما كانت هذه الإجراءات تنتهي بطرد الوافدين. أمّا سكان قرية خُساس، على سبيل المثال، فقد اشتكوا من المعاملة التي تلقّوها، إذ أُجبروا على هدم منازلهم بأنفسهم، وتعرّضوا لمعاملة غير إنسانية، وشهدوا معاناة عائلاتهم في ظروف قاسية للغاية، وهم يتنقلون في المناطق المحيطة في حالة من العطش والجوع الشديدين. وفي الفترة نفسها، كان الجبهة الجنوبية أكثر فاعلية نسبياً في منع عودة اللاجئين مقارنة بالجبهة الشمالية. ويُعزى ذلك إلى السياسات العسكرية الأكثر صرامة، حيث إنه تحت قيادة بيغال ألون، تمّ طرد جميع السكان المحليين خلال عملية يوآف، بحيث لم تعد هناك أي قرية قائمة، سواء بشكل كامل أو جزئي، في المناطق الخاضعة لسيطرته (Morris, ٢٠٠٤).

في أواخر القرن التاسع عشر، صُوّرت قرية خربة العمور بوصفها قرية زراعية صغيرة ذات تخطيط عمراني مستطيل الشكل. وقد شُيّدت بيوت السكان من الحجارة، بينما تقاطع طريقان رئيسيان في وسط القرية قسّماها إلى أربعة أقسام. وكان جميع سكانها من المسلمين، واعتمدوا في موارد المياه على عدة ينابيع محيطة، من بينها نبع سُمّي باسم القرية نفسها. وقد ارتكز النشاط الاقتصادي للسكان على القطاع الزراعي، حيث شمل زراعة الأشجار المثمرة والزيتون، إضافةً إلى زراعة المحاصيل الحقلية، ولا سيما الحبوب، وذلك في الجزء الجنوبي من القرية الذي تميز بخصوبته. ومع دخول الفترة ما بين ١٩٤٤-١٩٤٥، سُجِّل استخدام نحو ١,٢٧٩ دونماً من الأراضي لزراعة الحبوب، في

حين حُصِّصَ ٤٩٧ دونماً للأراضي المروية والبساتين، من بينها ٩٨ دونماً مزروعة بأشجار الزيتون. أما في الوقت الحاضر، فإن موقع القرية لم يعد سوى أطلال مكوّنة من بقايا حجارة متناثرة، مثل بقايا إطارات النوافذ والأبواب، المنتشرة بين الغطاء النباتي البري. كما لا تزال بعض المصاطب الحجرية القديمة ظاهرة، في حين تنمو نباتات الصّبار في الجهتين الشرقية والشمالية. إضافةً إلى ذلك، ما تزال أشجار اللوز والزيتون والتين والسرور مرئية في مناطق كانت تُعدّ سابقاً فضاءً عمرانياً مأهولاً (Museum of Palestinian , ٢٠٢٦). (Memory).

إن إنشاء منتزه كندا لا يمكن فصله عن عملية إخلاء وتدمير عدد من القرى الفلسطينية في منطقة اللطرون ومحيطها، والتي جرت في سياق الصراع العربي - الإسرائيلي منذ عام ١٩٤٨ واستمرت بعد عام ١٩٦٧. وقد تعرضت قرى مثل خربة العمور، بير معين، البرج، القباب وغيرها لعملية إفراغ سكاني نتيجة عمليات عسكرية أجبرت سكانها على النزوح، تلاها تسوية عمرانية شاملة للمباني بهدف منع عودة السكان الأصليين (Khalidi, ١٩٩٢). ومن منظور دراسات التاريخ، تُفهم هذه العملية بوصفها جزءاً من تحول مقصود في المشهد المكاني، حيث أُعيدت صياغة فضاءات القرى السابقة لتتحول إلى وظائف وهوية مغايرة كلياً. ففي الفترة التي أعقبت حرب عام ١٩٦٧، أُدرجت هذه المناطق ضمن مشاريع التشجير والترفيه التي مؤلها الصندوق القومي اليهودي (Jewish Fund National)، مما أدى إلى إنشاء "منتزه كندا" بوصفه حديقة عامة غطت على الآثار المادية والتاريخية للمجتمعات الفلسطينية السابقة (Benvenisti, ٢٠٠٠). وقد وردت هذه الواقعة في الرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي، التي تُجسّد الديناميات الاقتصادية المرتبطة بتطوير المدن والبنية التحتية على النحو الآتي:

"أعود وأفتح الخريطة التي تصوّر فلسطين حتى العام ١٩٤٨، وأجول

ببصري فوقها، متنقلة بين أسماء القرى الفلسطينية العديدة، التي تم تدميرها

بعد تشريد قاطنيها ذلك العام، فأتعرف على عدد منها والقادم منه بعض

من زملائي ومعارفي، مثل قرية لفتا، والقسطل وعين كارم، والمالحة، والجورة، وأبو شوشة، وساريس، وعنابة، وجمزو، ودير طريف. لكن غالبيتها أسماء تبدو مجهولة بالنسبة لي، لدرجة راحت تثير في إحساسًا ما بالوحشة خربة العمور، وبير ماعين، والبرج، وخربة البويرة، وبيت شنة وسلبيت والقباب والكنيسة وخروبة، وخربة زكريا، والبرية، ودير أبو سلامة والنعاني، وجنداس، والحديثة، وأبو الفضل، وكسلا وأخرى كثيرة. أعيد نظري إلى الخريطة الإسرائيلية. منتزه كبير جدًا يُدعى منتزه «كندا»، يغطي الآن مساحة جميع هذه القرى." (الشلي، ٢٠١٧، ص. ٨٩).

في الرواية "تفصيل ثانوي" لعدنية شلي، تُجسّد السردية التي تصف تتبّع "أنا" لخرائط فلسطين قبل عام ١٩٤٨ واكتشافه لسلسلة من أسماء القرى التي اختفت، بُعدًا تاريخيًا وسياسيًا لعملية محو المكان والذاكرة الجماعية. إن ذكر قرى مثل لفتا، عين كارم، والقباب يؤكد أن تلك المناطق كانت مأهولة وتحمل حياة اجتماعية قائمة قبل أحداث عام ١٩٤٨. غير أن اختفاء هذه القرى من الخرائط المعاصرة يعكس عملية تفرغ سكاني وتحولًا في المشهد المكاني حدثا بعد الصراع، حيث لم يقتصر الأمر على السيطرة على الفضاء الجغرافي بل شمل أيضًا إعادة تعريفه وإنتاج دلالاته. كما أن شعور الاغتراب الناتج عن غياب معرفة العديد من أسماء القرى يعكس انقطاع الذاكرة التاريخية بفعل محو الآثار الجغرافية. ويُعزّز هذا المعنى من خلال تحويل أراضي القرى السابقة إلى "منتزه كندا" (Park Canada)، إذ تم تحويل الفضاء الذي كان في الأصل مكانًا لحياة المجتمع الفلسطيني إلى حديقة عامة، مما أدى إلى طمس الوجود التاريخي السابق وإعادة تشكيل سردية جديدة عن المكان.

الفصل الخامس

الخاتمة

أ. خلاصة البحث

تُبين هذا البحث أنّ السردية التاريخية المضادة في رواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي تكشف عن بناء تاريخ حادثة عام ١٩٤٩ بوصفه مجالاً لصراع الخطابات المشبعة بعلاقات القوة، كما تُبرز مقارنةً بين التاريخ الرسمي والتمثيل السردى المتخيّل الذي يُبنى من خلال منظور مُهمّش، إلى جانب تأثير ذلك في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع العربي، وذلك وفق مقارنة التاريخانية الجديدة (New Historicism) لدى ستيفن غرينبلات. وتؤكد هذه النظرية أنّ النص الأدبي ينبغي أن يُقرأ في ارتباطه بالسياقات الثقافية والتاريخية وعلاقات السلطة التي تحيط به، لا بوصفه كياناً مستقلاً قائماً بذاته. ويظهر هذا البحث أنّ التاريخ لا يتجلى بوصفه سردية أحادية ومحيدة، بل باعتباره نتاجاً بنيوياً يفتح المجال أمام تفاوض الدلالات بين الرواية الرسمية والروايات البديلة. كما تكشف هذه الدراسة أنّ الرواية تُقدّم قراءةً مضادةً من خلال تجارب لا تجد لها موضعاً في الكتابة التاريخية المهيمنة، وتُبرز في الوقت ذاته التداخل بين النص الأدبي والخطاب التاريخي وممارسات السلطة والظروف الاقتصادية التي تُشكّل خلفيته. وقد نجحت الباحثة في هذا البحث في الإجابة عن أسئلة البحث الآتية:

تمثّل صورة التاريخ الاجتماعي لحادثة عام ١٩٤٩ في رواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي، والتي تم تحليلها باستخدام مقارنة التاريخانية الجديدة (New Historicism) لستيفن غرينبلات، عدة جوانب رئيسية، وهي: (١) الهجرة اليهودية الأوروبية إلى فلسطين، (٢) إعلان قيام دولة إسرائيل، (٣) ظهور حدث النكبة، (٤) العدوان العسكري الإسرائيلي وبناء المستوطنات اليهودية في صحراء النقب. وتمثّل هذه الجوانب الأربعة تاريخاً اجتماعياً لا يقتصر

على تصوير التحولات الديموغرافية وتغيّر البنية الاجتماعية فحسب، بل يُظهر أيضًا كيف تشكّلت التجربة الجمعية للمجتمع العربي بفعل الصراع والتهجير وتحول الفضاء المعيشي. واستنادًا إلى التحليل الذي أجرته الباحثة في هذا البحث، فقد وجدت الباحثة تسعة معطيات في الرواية تُعزّز بناء هذا التاريخ الاجتماعي بوصفه جزءًا من سردية مضادّة للتاريخ الرسمي.

تشمل ديناميات السلطة والمصالح السياسية التي تُحيط بحادثة عام ١٩٤٩ في رواية "تفصيل ثانوي" لعديّة شبلي، والتي تم تحليلها باستخدام مقارنة التاريخانية الجديدة (New Historicism) لستيفن غرينبلات، عدة جوانب رئيسية، وهي: (١) سيطرة إسرائيل على المجتمع البدوي في النقب، (٢) أهمية منطقة النقب بالنسبة للمشروع الإقليمي الإسرائيلي الأوسع الذي يمتد إلى شبه جزيرة سيناء/مصر، (٣) المصالح الاستراتيجية لإسرائيل في المنطقة الجنوبية. وتمثّل هذه الجوانب الثلاثة كيفية ممارسة السلطة السياسية ليس فقط من خلال القوة العسكرية، بل أيضًا عبر السيطرة على الفضاء، وضبط السكان، وإعادة تنظيم المجال الجغرافي بصورة استراتيجية. وتُظهر هذه التمثيلات أن حادثة عام ١٩٤٩ تقع ضمن إطار مصالح جيوسياسية أوسع، حيث أصبحت منطقة النقب مركزًا للصراع على السلطة. واستنادًا إلى التحليل الذي أجرته الباحثة في هذا البحث، فقد وجدت الباحثة تسعة معطيات في الرواية تُعزّز بناء هذه الديناميات السياسية بوصفها جزءًا من سردية مضادّة للتاريخ الرسمي.

تشمل الأوضاع الاقتصادية المرتبطة بحادثة عام ١٩٤٩ في رواية "تفصيل ثانوي" للكاتبة أدنيا الشبلي، والتي تم تحليلها باستخدام مقارنة التاريخانية الجديدة (New Historicism) لستيفن غرينبلات، عدة جوانب رئيسية، وهي: (١) مصالح تطوير الزراعة في المناطق الصحراوية واستغلال الموارد المعدنية، (٢) بناء المدن والبنية التحتية بوصفه جزءًا من عملية تحوّل الفضاء. وتمثّل هاتان الناحيتان كيف أنّ البعد الاقتصادي يُعد عنصرًا أساسيًا في ديناميات الصراع، ليس بوصفه خلفية فحسب، بل باعتباره عاملاً محرّكًا للسيطرة على

الأرض وإعادة تشكيل البنية الاجتماعية. وتُظهر هذه التمثيلات أنّ حادثة عام ١٩٤٩ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمصالح المادية التي تقف وراء السياسات والممارسات على أرض الواقع، ولا سيما في توظيف منطقة النقب بوصفها فضاءً اقتصادياً استراتيجياً. واستناداً إلى التحليل الذي أجرته الباحثة في هذا البحث، فقد وجدت الباحثة ثلاثة معطيات في الرواية تُعزّز بناء هذه الأوضاع الاقتصادية بوصفها جزءاً من سردية مضادّة للتاريخ الرسمي.

بصورةٍ عامة، تُظهر رواية "تفصيل ثانوي" لعديّة شبلي تداخل الأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في إعادة بناء حادثة عام ١٩٤٩ بوصفها فضاءً لتنازع الخطابات، حيث تتشابك التجارب المهمّشة مع ممارسات السلطة والمصالح المادية في تشكيل دلالات التاريخ. ومن خلال قراءة قائمة على مقارنة التاريخانية الجديدة (New Historicism) لستيفن غرينبلات، يكشف هذا النص أنّ التاريخ لا يتسم بالأحادية، بل يظلّ مفتوحاً أمام تعددية المنظورات التي تُناهض هيمنة السردية الرسمية.

ب. توصيات البحث

يُبيّن هذا البحث، الذي يركّز على السردية التاريخية المضادّة لحادثة عام ١٩٤٩ في رواية "تفصيل ثانوي" لعديّة شبلي، أنّ الدراسات الأدبية المعتمدة على مقارنة التاريخانية الجديدة (New Historicism) لستيفن غرينبلات ما تزال مفتوحة للتطوير من خلال توظيف مقاربات نظرية متعدّدة. وحتى الوقت الراهن، لا تزال الدراسات التي تناولت هذه الرواية بمقاربات أخرى محدودة نسبياً، الأمر الذي يفتح آفاقاً واسعة أمام دراسات لاحقة. ويمكن للباحثة في أبحاث لاحقة الاستفادة من نظريات أخرى، مثل علم النفس الأدبي، لاستكشاف أبعاد الصدمة والذاكرة والتجربة الباطنية للشخصيات بصورة أكثر عمقاً في سياق العنف التاريخي. كما يمكن توسيع مقارنة التاريخانية الجديدة من خلال توظيف مفاهيم متقدمة مثل الشعرية الثقافية (cultural poetics) أو تشكيل الذات (self-fashioning) لفهم كيفية بناء الهوية

والخطاب والسلطة داخل النص. ومن المؤمل أن يسهم هذا التكامل بين المقاربات في إثراء تحليل العلاقة بين الأدب والتاريخ، ولا سيما في الكشف عن أشكال السرديات المضادة بوصفها بنى أكثر تعقيداً وتعدّداً في مستوياتها.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر القرآن الكريم : "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ " (يوسف: ١١١)
مراجع العربية

الإعلان بالتوبيخ. دار الكتب العلمية.

أوكتافيانى، أولياء فوتري. (٢٠٢٥). الديناميات السياسية للعراق عهد صدام حسين في رواية حدائق الرئيس لمحسن الرملي على أساس نظرية تاريخانية جديدة لستيفن جرينبلات. جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية.

استيفاغا (٢٠٢٦). ١١ نقاط في النقب. (Eleven Points in the Negev) <https://istifaga.com/1003855/11-eleven-points-in-the-negev-في-النقب>

ب، ا. .. أ. ف. (٢٠٠٣). كشف جريمة اغتصاب وقتل.. ارتكبتها جنود إسرائيليون عام ١٩٤٩. ٣١-١٠. <https://www.alyaum.com/articles/123363/>

بكر، ع. ا. (n.d.). الجيش المصري وحرب فلسطين ١٩٤٨.

بورعدة رمضان. (٢٠٢٢). القضية الفلسطينية في اهتمامات الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى غاية حرب ١٩٤٨م. جامعة قلمة.

حمدان، م. س. سياسة مصر تجاه القضية الفلسطينية ١٩٤٨ - ١٩٥٦م.

الريماوي، ق. ب. م. ش. (٢٠٢٠). داخل السور القديم: نصوص قاسم الريماوي عن الجهاد المقدس. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

السخاوي. الإعلان بالتوبيخ. دار الكتب العلمية.

السلام، م. ع. (٣ يونيو ٢٠٢٥). الحروب العربية الإسرائيلية. ١٨:٢٧ ٣١/١/٢٠٢٥. <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2004/10/3/الحروب-العربية-الإسرائيلية>

شفيق الغبرة. (٢٠١٨). النكبة ونشوء الشتات الفلسطيني في الكويت. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

العارف, ع . موسوعة النكبة.

العربي، أ. (٢٠٢٦). مستندات تاريخية إسرائيلية جديدة: الفلسطينيون لم يغادروا أرضهم في عام ١٩٤٨ طوعية بل بفعل الإرهاب، ٢٧ فبراير.

<https://www.alquds.co.uk/> مستندات-تاريخية-إسرائيلية-جديدة-الفل/

العربي. نصّ وثيقة إعلان قيام دولة إسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨ .

<https://www.alaraby.co.uk/maaref/documents/> نص-وثيقة-إعلان-قيام-دولة-إسرائيل-١٤-مايو-١٩٤٨

(alaraby.co.uk)

نابل، ر. م. (٢٠٢٢). المقاومة الوطنية في مسرحية عودة الفردوس لعلي أحمد باكثير: دراسة تحليلية تاريخية جديدة .مالانغ: جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية.

الصلابي, ع. م. (١٩٩٨). صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي . ktab INC .

طويل، يوسف العاصي. (٢٠١٤). البعد الديني العلاقة أمريكا باليهود وإسرائيل وأثره على القضية الفلسطينية خلال الفترة (١٩٤٨ - ٢٠٠٩). مكتبة حسن العصرية.

طه عبد الناصر رمضان. (٦ مارس ٢٠٢٣). عقب حرب ٤٨.. هكذا ظهرت هدنة أوقفت

العمليات القتالية. العربية.نت ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٣ ١١:٥٩.

<https://www.alarabiya.net/last-page/2023/11/25/> عقب-حرب-٤٨-هكذا-ظهرت-هدنة-أوقفت-العمليات-

القتالية

كامل, إ. أ. (٢٠٠٤). الحرب من أجل فلسطين إعادة كتابة تاريخ ١٩٤٨ . العبيكان .

محارب، م. (٢٠٢٢). الحزب الشيوعي الإسرائيلي والنكبة: الموقف والدور . المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

محمد عزت. (٦ مارس ٢٠٢٣). عاما على النكبة. الأسباب الحقيقية للهزيمة الغامضة.

١٤/٥/٢٠٢٣ ١٣:٣٤ .

<https://www.aljazeera.net/history/2023/5/14/75-> عاما-على-النكبة-الأسباب-الحقيقية

- Aamir, F. (2022). Palestinian modernism: Meaning making and alternative historical practices in Adania Shibli's Minor Detail. *Journal of Palestine Studies*, 51(2). <https://doi.org/10.1080/0377919X.2022.2040323>
- Ab Aziz, N. A. (2020). Peperangan dan Konflik: Perbandingan Teori Peperangan dan Undang-undang Moden serta Etika Peperangan Barat dan Islam. *Jurnal Peradaban*, 13(1).
- Abu-Rabia, A. (2000). Employment and Unemployment among The Negev Bedouin. *Nomadic Peoples*, 42(2), 84–93.
- Ahmadi, A. (2019). *Metode Penelitian Sastra (N. R. Hariyati (Ed.); 1)*. Graniti. https://books.google.co.id/books?id=F88QEAAQBAJ&printsec=copyright&redir_esc=y#v=onepage&q&f=false
- Al-Araby, A.-Q. (2026). مستندات تاريخية إسرائيلية جديدة: الفلسطينيون لم يغادروا أرضهم في ١٩٤٨ طواعية بل /مستندات-تاريخية-إسرائيلية-جديدة-الفل/ <https://www.alquds.co.uk/> بالإنهاء. ٢/٢٧
- Al Araby. (n.d.). نص وثيقة إعلان قيام دولة إسرائيل ١٤ مايو ١٩٤٨ <https://www.alaraby.co.uk/maaref/documents/١٩٤٨-مايو-١٤-نص-وثيقة-إعلان-قيام-دولة-إسرائيل>
- Alkhaerat, M., AJ, A. A., & Garim, I. (2024). New Historicism Greenblatt dalam Novel Kartini Karya Abidah El Khalieqy dan Novel Buya Hamka Karya Ahmad Fuadi dan Relevansinya terhadap Pembelajaran Materi Apresiasi Novel di SMA. *Jurnal Onoma: Pendidikan*, 10(3).
- Amirul, M. I., Sa'dullah, A., & Hanif, M. (2019). Nilai-Nilai Pendidikan Akhlak yang Terkandung Pada Novel Dengan Judul Ayahku Bukan Pembohong Karya Tere Liye. *Vicratina: Jurnal Pendidikan Islam*, 4(8), 120.
- Anderson, B. (1991). *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*. Verso.
- ANRI (Arsip Nasional Republik Indonesia). (1981). *Lembaran berita sejarah lisan*. Arsip Nasional RI.
- Ardhianti, M. (2016). Kajian New Historicism novel Hatta: aku datang karena sejarah karya Sergius Sutanto. *Jurnal Buana Sastra*, 3(1), 2.
- Artika, I. W. (2015). Pengajaran Sastra dengan Teori New Historicism. *Prasi*, 10(20), 50–55.
- Bakar, A. (2008). *Berebut Tanah Suci Palestina*. Insan Madani.
- Barry, P. (2002). *Beginning Theory, an Introduction to Literary and Cultural Theory: Second Edition*. Manchester University Press.
- Barry, P. (2010). *Pengantar komprehensif teori sastra dan budaya: beginning theory*. Jalasutra.
- Ben-David, Y. (1993). *Bedouin Settlement in the Negev: Policy and Practice, 1967–1992*. Ministry of Housing and the Jerusalem Institute for Israel Studies.
- Ben-David, Y. (1996). *Feud in the Negev: Bedouin, Jews, Land*. The Center for the Research of Arab Society in Israel.

- Benvenisti, M. (2000). *Sacred Landscape: The Buried History of the Holy Land since 1948*. University of California Press.
- Bhat, A. A. A. (2014). Critical Note on New Historicism. *Galaxy: International Multidisciplinary Research Journal*, 3(3). www.galaxyimrj.com
- Brannigan, J. (1998). *New Historicism and Cultural Materialism*. Macmillan Press Ltd.
- Brannigan, J. (1999a). *Introduction: History, Power, and Politics In the Literary Artifact*. New York University Press.
- Brannigan, J. (1999b). *New Historicism and Cultural Materialism*. St. Martin's Press.
- C. Hudson, M. (1990). *The Precarious Republic: Political Modernization in Lebanon*. Westview Press.
- Castle, G. (2007). *The Literary Theory Handbook*. Continuum.
- D. Smith, C. (2017). *Palestina dan Konflik Arab-Israel: Sejarah dengan Dokumen (edisi ke-9)*. St. Martin's.
- Degen, A. (2003). Roles of Urbanised Negev Bedouin Women Within Their Household. *Nomadic Peoples*, 7(2), 108–116.
- Derajat, A. Z., & Kurniawan, T. (2022). Normalisasi Hubungan Israel dan Arab dalam Konteks Israel-Palestina. *Jurnal Ilmiah Hubungan Internasional*, 18(2), 133–149.
- Djoko Damono, S. (1994). *Sastra, Politik, dan ideologi*. Fakultas Sastra Universitas Indonesia.
- Elbaz, E. (2023). Documenting the unarchivable: Minor Detail and the archive of senses. *Journal of Postcolonial Writing*, 59(5).
<https://doi.org/https://doi.org/10.1080/17449855.2023.2256488>
- Falah, G. (1989). Israeli State Policy toward Bedouin Sedentarization in the Negev. *Journal of Palestine Studies*, 18(2), 71–91.
- Foucault, M. (2012). *Arkeologi Pengetahuan*. Ircisod.
- Gallagher, C. (1999). *Marxisme and The New historicism*. New York University Press.
- Garraghan, G. J. (1946). *A Guide to Historical Method*. Fordham University Press.
- Goering, K. (1979). Israel and the Bedouin of the Negev. *Journal of Palestine Studies*, 9(1), 3–20.
- Gordis, D. (2016). *Israel: A Concise History of a Nation Reborn*. Harper Collins Publishers.
- Gottschalk, L. (1950). *Understanding History: A Primer of Historical Method*. Alfred A. Knopf.
- Gottschalk, L. (1975). *Mengerti Sejarah: Pengantar Metode Sejarah*. Universitas Indonesia.
- Greenblatt, Stephen dan Gallagher, C. (2000). *Practicing New historicism*. The University of Chicago Press.
- Greenblatt, Stephen dan Gallagher, C. (2005). *Practicing New historicism*. The University of Chicago Press.

- Greenblatt, S. (1980). *Renaissance self-fashioning: From More to Shakespeare*. University of Chicago Press.
- Hayati, C. (2023). *Pentingnya dokumentasi dan arsip Untuk penulisan sejarah persyarikatan muhammadiyah*. 2.
- Istifaga. (2026). *11 نقاط في النقب (Eleven Points in the Negev)*. <https://istifaga.com/1003855/11-nقاط-في-النقب-eleven-points-in-the-negev/>
- Karim, A. (2014). Sejarah Perkembangan Ilmu Pengetahuan. *Fikrah : Journal of Islamic Education*, 2(1), 274.
<https://doi.org/10.56799/peshum.v4i6.12809>
- Khairunnisa, Irena Arifa and Rahman, S. A. (2023). Kebijakan Israel Dan Dampaknya Terhadap Cara Hidup Kebijakan Israel Dan Dampaknya Terhadap Cara Hidup Suku Badui Di Negev. *Multikultura*, 2(2).
<https://doi.org/10.7454/multikultura.v2i2.1137>
- Khalidi, R. (2007). *The Iron Cage; The Story Of The Palestinian Struggle For Statehood*. Oneworld Publications.
- Khalidi, W. (1992). *All That Remains: The Palestinian Villages Occupied and Depopulated by Israel in 1948*. Institute for Palestine Studies.
- Kochhar, S. K. (2008). *Pembelajaran Sejarah*. Grasindo.
- Kuntowijoyo. (1987). *Budaya dan Masyarakat*. PT. Tiara Wacana.
- Kuntowijoyo. (1995). *Pengantar Ilmu Sejarah*. Yayasan Bentang Budaya.
- Kuntowijoyo. (2006). *Budaya dan Masyarakat*. Tiara Wacana.
- Kurniawati, Y., Winarti, M., Darmawan, W., Sejarah, D. P., Pendidikan, F., & Pengetahuan, I. (2020). Menelusuri Sejarah Lisan Di Jawa Barat : Sebuah Langkah Awal Dalam. *Historia; Jurnal Pendidik Dan Peneliti Sejarah*, 3(2), 104.
- Laqueur, W. (1972). *A History Of Zionisme*. MJF Books.
- Lundgren, Terry D, and C. A. (1989). *Lundgren, Records Managements in The Computer Age*. Kent Publishing.
- Madjid, M. Dien, & J. W. (2014). *Ilmu Sejarah: Sebuah Pengantar*. Prenada Media Group.
- Mandhai, S. (2024). Nakba: Essential books explaining the ethnic cleansing of Palestine and creation of Israel. *15 May*.
<https://www.middleeasteye.net/discover/nakba-five-books-understand-ethnic-cleansing-palestine-creation-israel>
- Martha, Y., Sa'diyah, D., Maulana, H., & Warto. (2023). Konsep Dasar Sejarah: Implementasinya Dalam Pembelajaran. *Bersatu: Jurnal Pendidikan Bhinneka Tunggal Ika*, 1(4), 165.
<https://doi.org/10.51903/bersatu.v1i4.285>
- Marx, E. (2000). Land and Work: Negev Bedouin Struggle with Israeli Bureaucracies. *Nomadic Peoples*, 4(2).

- Meir, I., & Stavi, I. (2011). Evolution of the 'Modern' Transitory Shelter and Unrecognized Settlements of The Negev Bedouin. *Nomadic Peoples*, 15(2), 33–52.
- Memory, M. of P. (2026). *Al- 'Umur, Khirbat*.
- Montrose, L. (1989). *Professing the Renaissance: The Poetics and Politics of Culture*. In H.A. Veenser (Ed.), *The New Historicism*. Routledge.
- Morris, B. (2004). *The Birth Of The Palestinian Refugee Problemrevisited*. Cambridge university press.
- Morris, B. (2008). *1948: A History of the First Arab-Israeli War*. Yale University Press.
- Mttaqin, K. (2021). Representasi Sejarah Pers pada Masa Sebelum dan Setelah Kemerdekaan Indonesia dalam Novel Sarang Angin. *Jentera: Jurnal Ilmu Hukum*, 10(1).
<https://doi.org/https://doi.org/10.26499/jentera.v10i1.2903>
- Murtini, Wiranta, Prasodjo, A., & P, A. S. (2019). Fakta Sejarah dalam Novel-Novel Pandir Kelana. *Jurnal Sastra Indonesia*, 8(3), 204.
- Nashef, H. A. M. (2022). Suppressed narrator, silenced victim in Adania Shibli's Minor Detail. *Janus Unbound: Journal of Critical Studies*, 2(1).
<https://doi.org/https://doi.org/10.2021/ju.v2i1.2494>
- Oktorino, N. (2017). *Konflik Bersejarah Chel Ha'avir Angkatan Udara Israel*. PT. Alex Media Komputindo.
- Oren, M. (1989). The diplomatic struggle for the Negev, 1946–1956. *Studi Dalam Zionisme*, 10(2).
<https://doi.org/https://doi.org/10.1080/13531048908575955>
- Primer, A. S. (2024). *Pengantar Ilmu Sejarah Indonesia*. Yayasan Tri Edukasi Ilmiah.
- Priyadi, S. (2017). *Sejarah Lisan*. Penerbit Ombak.
- Question, I. E. of the P. (2026). Bayt Susin Village. 28 February.
<https://www.palestine-studies.org/en/node/1658557>
- Ramadhany, Nurry Novya, Aam Nurjaman, & R. R. (2023). Kajian New Historisme pada Novel Anak Tanah Air Karya Ajip Rosidi dan Implikasinya pada Pembelajaran Bahasa Indonesia di SMA. *Triangulasi: Jurnal Pendidikan Kebahasaan, Kesastraan, Dan Pembelajaran*, 3(2).
<https://doi.org/https://doi.org/10.55215/triangulasi.v3i2.7611>
- Renier, G. J. (1997). *Metode dan Manfaat Ilmu Sejarah*. Pustaka Pelajar.
- Rezk, W. A. (2025). Trauma intergeneracional e historia en The Vanishing Half (2020) de Brit Bennett y Minor Detail (2017) de Adania Shibli. *Acta Poética*, 46(1), 131–150.
- Rodiah, I. (2019). New Historicism: Kajian Sejarah Dalam Karya Imajinatif Ukhruj Minha Ya Mal'un Saddam Hussein. *Jurnal Kajian Islam Interdisipliner*, 4(2).
<https://doi.org/https://doi.org/10.14421/jkii.v4i2.1102>
- Rosdiana. (2023). Perang Enam Hari (Perang Arab-Israel Tahun 1967). *Edu Sociata (Jurnal Pendidikan Sosiologi)*, 6(2), 1356–1357.

- Roslan Mohd Nor, M. (2024). *Sejarah Kejatuhan Palestin Dan Kewujudan Israel*. 2(2008), 306–312.
- Sa'di, A. H., & Lila Abu-Lughod, E. (2007). *Nakba: Palestine, 1948, and the Claims of Memory*. Columbia University Press.
- Sabarian. (2026). *Dominasi dan politik perlawanan dalam novel Tafṣīl Ṭānawī karya Adania Shibli: Analisis nekropolitik Achille Mbembe*. Universitas Gadjah Mada.
- Sabolíková, Karin & Sabovíková, A. (2024). Using Primary Sources in Teaching Selected Aspects of British Studies: Benefits and Limitations. *Językoznawstwo*, 20(1).
- Sartono Kartodirdjo, A. (1992). *Pendekatan Ilmu Sosial dalam Metodologi Sejarah*. PT Gramedia Pustaka Utama.
- Satrianingsih, A. (2016). Sejarah Zionisme Dan Berdirinya Negara Israel. *Jurnal Adabiyah*, 16(2), 173.
- Sayar, Ö. (2024). Speaking with the Dead: New Historicism, Its Roots and Development as an Epoch-making. *RumeliDE Dil ve Edebiyat Araştırmaları Dergisi*, 4(14).
<https://doi.org/https://doi.org/10.29000/rumelide.1455502>
- Senen, A. (2014). *Konsep-Konsep IPS (Geografi, Sejarah, Ekonomi, Sosiologi, Antropologi) Dalam Konteks Lokal, Nasional, Dan Global*.
- Septiani, A. (2022). Bibliografi Sejarah Pakaian Di Indonesia Pada Masa Pemerintahan Hindia Belanda. *Jurnal Pustaka Budaya*, 9(1), 23.
<https://doi.org/10.31849/pb.v9i1.8511>
- Shibli, A. (2022). *Detail Kecil*. Gramedia Pustaka Utama.
- Shvarts, Shifra., Jeffrey Borkan, M. M., & Sherf, M. (2003). *The Government of Israel and the Health Care of the Negev Bedouin under Military Government, 1948-1966*. 1970, 47–66.
- Siau, Felix Y; Maghfoor, Salsabila; Haura, Dena; Balqist, M. (2024). *Baitul Maqdis For Dummies*. Alfatih Press.
- Surur, M., & Oktaviani, A. P. (2025). Depiction of naturalism in the novel Tafṣīl Thānawī by Adania Shibli. *CMES (Center of Middle Eastern Studies)*, 18(2).
<https://doi.org/https://doi.org/10.20961/cmes.18.2.102936>
- Surur, M., Hasanah, U., Masadi, M. A., & Wirmansyah, A. F. (2023). *Depiction Of Islam ' S Collap Ses In Andalusia From The Novel*. 4(2), 86.
- Syafitri, H. D., Afdholy, N., & Purnomo, A. R. P. (2025). Fakta Sejarah Pada Novel “Gadis Kretek” Karya Ratih Kumala (Kajian New Historicism). *Edukasi Lingua Sastra*, 23(2), 172.
<https://doi.org/10.47637/elsa.v23i2.1849>
- Syaikh, S. (2022). *Internalisasi Hukum Waris (Menakar Sistem Hukum Waris dalam Budaya Kearifan Lokal)*. K-Media.
- Syarofina, M. N., & Zawawi, M. (2024). Historiography of the novel Min Hikayati Jaddati by Suhayr al-Qalamawy: a study of new historicism. *Diglosia: Jurnal Kajian Bahasa, Sastra, Dan Pengajarannya*, 7(4), 695.

<https://doi.org/10.30872/diglosia.v7i4.1068>

T.G. Fraser. (2004). *The Arab-Israeli Conflict, Second Edition*. Palgrave Macmillan.

Taufiqurrohman, M. (2019). Challenging the New Order's Communist Figures: A New Historicism Study on Penjagal Itu Telah Mati. *Jurnal Humaniora*, 31(3), 294. <https://doi.org/10.22146/jh.26774>

Tsabita, Q. Q. A. Q., & Hakim, A. R. (2025). A portrait of Palestinians in Mahmoud Darwish's poem 'Qasidatu al-Ardi': New historicism analysis. *Tsaqofiya: Jurnal Pendidikan Bahasa Dan Sastra Arab*, 7(1), 103–119.

Tung, K. Y. (2013). *Filsafat Hegel dan dialektika*. Kanisius.

Uris, L. (1958). *Exodus*. Doubleday & Company.

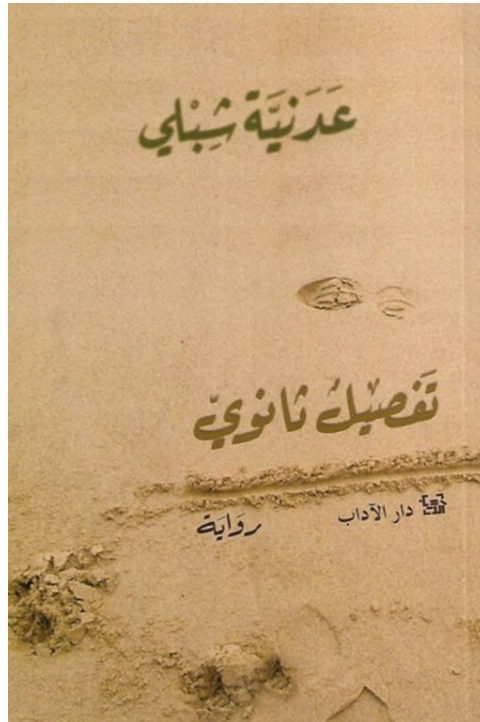
Veesser, H. A. (1989). *The New Historicism (Ed.)* (Routledge (ed.)).

Yonggom, A. D. (2021). Museum Loka Budaya Universitas Cenderawasih Sebagai Sumber Kebendaan Dalam Penulisan Sejarah Lokal Tradisional Di Papua. *Noken : Jurnal Pengelolaan Pendidikan*, 2(2), 73–74. <https://doi.org/10.31957/noken.v2i2.1877>

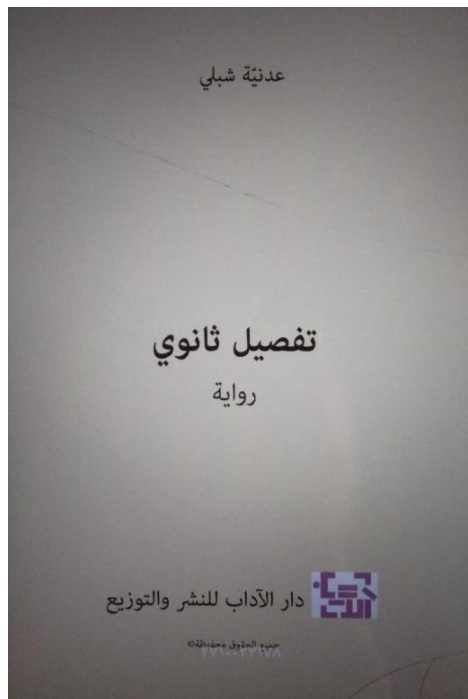
الملاحق

لمحة عن رواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي

الملحق (١) :



غلاف رواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي



غلاف داخلي لرواية "تفصيل ثانوي" لعذنية شبلي

الملحق (٢) :

عن الكتاب

"آب 1949، يخيم قائد كتيبة عسكريّة مع جنوده في بقعة من الصحراء النقب، يشتبه في أنها ممرٌ يسلكه المتسلّلون العرب. بعد أكثر من خمسة عقود، تنطلق فتاة موظفة فلسطينيّة في رحلة صوب النقب ساعيةً إلى كشف ملابسات حادثة جرت في ذلك المعسكر، مستعينةً بتفاصيل ثانويّة شتّى. عدنيّة شبلي اديبة فلسطينيّة، حازت روايتها "مساس" و "كلّنا بعيدٌ بذات المقدار عن الحب" جائزة مؤسسة عبد المحسن القطّان

تصنيفات الكتاب

ولمزيد من الاطلاع على الرواية كاملةً، يمكن الوصول إليها عبر تطبيق "أبجد".

"Mungkin memang tidak ada hal yang lebih penting dari detail kecil seperti ini. Detail kecil yang bisa menjadi jalan untuk mengetahui kebenaran utuh tentang kisah si gadis. Detail kecil yang sayangnya justru tidak diungkap dalam artikel di koran pagi itu."

Di Palestina, yang luar biasa—rudal, gedung hancur, dan mayat—sudah jadi biasa. Dari situlah, novel ini mengantarkan pembaca melihat Palestina lewat "detail kecil" yang kerap disepelekan. Lewat beda debit air mandi antara di Israel dan Palestina, lewat berita pemerkosaan gadis Badui tanpa nama setahun setelah Nakba 1948. Melalui tuturan dua naratornya—tentara Israel dan pegawai Palestina—Shibli menyuguhkan jeroan hati para tokohnya sekaligus mengekspos bagaimana penjajah bekerja.

Sebuah inisiatif yang dianugerahi penjemaran oleh Frankfurt Book Fair dan penghargaan LiBeraturpreis 2023.

"Brilian dan mencekam."
—Intan Paramaditha

"Minor Detail mampu menjadikan satu insiden 'kecil' di satu tempat [Palestina] sebagai contoh sempurna tentang penjajahan atas nama apa pun, di mana pun."
—Juri International Booker Prize 2021

يمكن الوصول إلى هذه الرواية عبر تطبيق "Google Play Books"، كما يمكن اقتناؤها من أقرب مكتبة لبيع الكتب.

سيرة ذاتية

ديسفيتا أيوئيندراواتي، ولدت في مدينة تشيليجون في ٣ ديسمبر ٢٠٠٣. أنهت دراستها في المدرسة الابتدائية الحكومية الثالثة جيون عام ٢٠١٧، ثم واصلت تعليمها في مدرسة المتوسطة عالم متيارا أومات وتخرجت فيها عام ٢٠١٩، ثم التحقت بالمدرسة الثانوية الدينية الحكومية الثانية تولونغونغ وبعد ذلك تابعت دراستها في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانغ.



اتصل بها من خلال عنوان البريد الإلكتروني التالي:

إنستغرام: @desvitaayu

البريد الإلكتروني: 2203011100552@student.uin-malang.ac.id